# مفهوم الفن
# بين
# الحضارة الإسلامية
# والحضارات الأخرى



إعداد
أ. عليّ القاضي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

# مفهوم الفن



# الحضارة الإسلامية
# والحضارات الأخرى

بقلم

أ. علي القاضي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

## ما المقصود بالفن :

يقصد بالفن التعبير عن الحال بمختلف الأساليب والأدوات من أدب إلى رسم إلى موسيقى إلى غير ذلك من أساليب التعبير .

والإنسان يتأثر وينفعل فيعبر ويخرج إلى العالم الخارجي صدى وقع الحياة التي تلقاها إحساسه الداخلي- فقد تكون هذه الصورة الفنية كلمة أو رسما أو تصويرا - المهم أنها تعبير عن الإحساس الداخلي الذي يحس به الإنسان وينفعل ويتأثر به ، فيعبر بصورة من صور الفن التي يجيدها .

## الفن قديما :

كان الفن عند الرومان واليونان فنا دنيويا ، فلما جاءت المسيحية بدأت في التوجه به إلى الآخرة وأصبحت التماثيل العارية ممنوعة ، واتجه الفن إلى تصوير النزعات السامية في الإنسان والخصال الحميدة فيه كالتوبة والاستشهاد في سبيل الدين وتحمل الآلام والعذاب في سبيله ، وقد اتجه الفن في المسيحية إلى موضوعات جديده مثل تمجيد الله وإعلاء كلمة المسيح عليه السلام والإشادة بطهارة العذراء واستشهاد القديسين ، وكان هذا مجال فنانيها الذي أمدهم بالموضوعات الفنية في القرون الوسطى حتى حظي الفن بخطوات واسعة .

والمسيحية بوجه عام كانت ترى أن الفنون التصويرية وسيلة طيبة لتثقيف المسيحيين في دينهم ، ولذلك قال بعض قديسيهم : إن اللوحات الفنية في الكنائس تشرح للأميين ما لا يستطيعون قراءته في بطون الكتب ، حيث أن النظر كان أقدر من السمع في القدرة على الإيحاء والتأثير .

## الإسلام والفن :

موقف الإسلام من الفن انبثق من صميم العقيدة الإسلامية ، وهو لذلك يرتبط بالفكر الإسلامي وفلسفته ومثاليته ويتلاءم تلاؤما فذا مع الإسلام ومبادئه ، فليس في الإسلام إله يصلب وليس في الإسلام وساطة بين عبد وربه بل إن كل مسلم يمكنه أن يناجي ربه مباشرة وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (البقرة:١٨٦) .

وعلمـــاء الإســـلام ليس لهم قداسات خاصة ، بل هم مبلغون لما درسوه من مبادئ الإســـلام وتعالـــيمه ، ومـــن حق أي مسلم أن يناقشهم فيما يقولون وأن يطلب منهم الدليل المقـــنع على عكس الديانات الأخرى ، ومن هنا فإن الفن الإسلامي لم يوجد لخدمة الدين ولم يستخدم في نشر العقيدة الإسلامية – كما حدث بالنسبة لغيره من الأديان – حيث كانت تماثيل الآلهة وصورها في أماكن العبادة من أهم المظاهر الفنية ، وفي مساجد المسلمين لا نـــرى تماثـــيل الآلهة ولا صور القديسين ولا اللوحات الفنية التي تروي القصص الدينية وتســـجل أحـــداث الديـــن كما لا نرى رجال الدين في ملابسهم الفضفاضة ذات الألوان المتعددة الزاهية المنقوشة بالزخارف الفنية الدقيقة وهم ممسكون بالمباخر والأدوات الدينية والأدعية التي يتجلى فيها جمال الفن وروعة الزخرفة ودقة الصناعة .

وإذا كـــان الإسلام يمنع ذلك كله فلأن هذه المناسك بعيدة الصلة عن الحياة الإسلامية فـــلا وســـاطة بيـــن العـــبد وربه ولا مكان خاص بالعبادة فالأرض كلها مساجد للمسلم ، ومعـــنى العـــبادة في الإسلام يتسع حتى يشمل كل شيء يفعله المسلم ليحقق به رسالته في هـــذه الحياة باعتباره مستخلفا في الأرض ، سواء كان ذلك في البيت أم في المسجد أم في مكـــان العمل أم في الطريق مادام يبتغي وجه الله تعالى به ، وهو بذلك يشمل الزمان كله والمكان كله .

## المستشرقون والفن الإسلامي :

المستشرقون يجعلون الفن المسيحي – بكل خصـائصه – هو الأساس ، ثم يبدعون في نقـــد الفـــن الإســـلامي ، فـــإذا كان الفن الإسلامي – مثلا – لا يبيح التجسيم فهو خال من الجمـــال، ذلـــك لأن الفن – كما يقولون هو فن المأساة والدراما – في عناصر متحركة ، ولذلـــك فـــإنهم يقولون : ''أن إله الإسلام جامد ، أما إله المسيحية فهو حي متحرك يشعر ويـــتألم ويـــنزل ويتجسد ويصلب ويموت ويحيا'' كما يقولون : ''إن عبادات الإسلام فيها جفـــاف ، على عكس طقوس المسيحية فهي ثروة درامية هائلة ، وأن دم المسيح وجسمه يعطـــيان للمتعبد في كل طقس'' ، وهذه دفعت بالوجدان المسيحي إلى الإبداع الفني وهو غير موجود في الإسلام ، ورتبوا على هذا أن الفن الإسلامي يدل على جهل الفنان المسلم بالفن وأموره واتخذوا مثالا لذلك النمنمات .

ولكننا نلاحظ أن بعض المستشرقين وعلماء الغرب تنبهوا إلى خصائص الإسلام في النظرة إلى الفن ، يقول العلامة "**كروسيل**" ''ليس في الإسلام أقداس دينية تتطلب مراسمها كاهنا مقدسا فأي مسلم يستطيع أن يقوم بأية شعيرة دينية دون وساطة أحد''.

وبيـــن العـــالم الأستاذ " **كوبلربونج** " اختلاف الإسلام عن المسيحية في قوله : '' إن الإســـلام يخـــتلف عـــن المسيحية الرومانية في أنه لا يتخذ لنفسه نظم الكنيسة والقرابين والقسيســـين ، ولقـــد تـــبدو البروستانتينية الخالصة دينا كهنوتيا إذا وازناها بالإسلام الذي يحرص على التوحيد الخالص ، والذي لا يحتمل أي تدخل بين الإنسان وخالقه '' .

## الفن الإسلامي والمذاهب الفنية :

موقف الإسلام من الفن انبثق من صميم العقيدة ، وارتبط ارتباطا وثيقا بالفكر الإسلامي وفلسفته ومثاليته ، ويتلازم تلازما فذا مع دين الإسلام وتعاليمه ومبادئه ، وقد وضع الإسلام معالم وحدودا ، وألزم أتباعه بها لتعويد المسلم الالتزام أولا ، ولكيلا يتحول المسلم الملتزم إلى أداة رخيصة مبتذلة تافهة ثانيا ، وعظمة الرسول تتجلى عندما كان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على الفردية والإبداع الذاتي كي يكون كل مسلم نسيج وحده وبدأ الإسلام في قضية الإبداع والتعبير عن الذات والإحساس الصادق المرهف بالتعبير الأدبي .

والفن الإسلامي منفتح على شتَّى المذاهب الفنية مادامت منسجمة مع حركة الكون والإنسان في سبيل الحق والعدل ومبادئ الدين الإسلامي ، فهذا الفن كلاسيكي حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية ، ويبتعد عن تأليه الإنسان ، ورومانسي حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المنبثقة من الإيمان بالله تعالى ، ويبتعد عن إغراقه الذاتي الأناني ، وواقعي حين يثور على كل القيم المنحرفة وعلى الطواغيت ، ويبتعد عن تمجيد لحظات الضعف البشري ، وعن تصوير الانحراف الفكري أو النفسي .

**والفن الإسلامي – ليس فيه عبس– كما يرى " كامي"** ، وليس فيه لا معقولية الحياة كما يرى "**.كافكا** " ، **وليس فيه حرية أخلاقية مطلقة كما يرى "سارتر"** ، وليس فيه تناقضات نفسية تنتهي بالضياع كما يرى " **دستوفسكي**" ، بل إن الفن الإسلامي قد قام في الوعي الديني بدور عظيم ، ولكنه في مجال بعيد عن المألوف في الديانات الأخرى ، وإن كان بطرق أكثر عمقا ، وأبعد أثرا من الطرق المباشرة التي سلكتها الفنون الأخرى في الحضارات السابقة على الإسلام ، وفي الحضارة الغربية المعاصرة – على السواء – فالفن في الإسلام يستمد خصائصه وشخصيته من روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، وهو بذلك يعبر عن الروح الإسلامية ومثاليتها خير تعبير، فقد قام على التوحيد والتجريد ، وهو بذلك يمثل الذاتية التي تميز بها الفن الإسلامي على اختلاف الزمان والمكان .

وقد تنبه إلى ذلك المؤرخ والناقد الأمريكي " **ريتشارد أميجاوزن**" في كتابه **[ فن التصوير عند العرب ]** ، فقال: ''إن الرسول محمدا لم يعتبر نفسه سوى إنسان قد اختاره الله لأداء رسالته ، فهو لم يزعم إنه يصنع المعجزات أو أنه يتمتع بقوة خارقة للطبيعة ، فلم يرع الإسلام التصوير الديني حول حياة الرسول ﷺ ، وبدلا من ذلك رفعت الرسالة السماوية بشكلها المكتوب إلى منزلة عظمى ، وبدلا من التصاوير المقدسة استعملت أقسام من نصوصها أشكالا زخرفية في الأبنية '' .

وتقول الأستاذة "**عايدة عبد الكريم** " في مقال لها بمجلة **[ الثقافة العربية عدد يناير ١٩٧٨م ]** : ''إن غياب الصورة لم ينقص شيئا من جوهر الفن للتمكن من الوعي الديني في قلوب الناس ، فمازال الفن الإسلامي يأخذ بتلابيب القلب البشري الواعي من مختلف أنحاء الأرض، يملي عليه من جماله ، وجلاله ، وروعته ، وسحر جاذبيته ، وإعجاز إخراجه ، وأنس حضرته ، وشموله لكل ما يحتاجه الإنسان في دينه ودنياه '' .

# الفن في الإسلام

الفـن هـو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان بمختلف الأساليب ؛ من خلال تصـوير الإسلام الذي يشيد بصفات الطبيعة الظاهرة ، ويكشف عن علاقتها الخافية على الناظريـن ، وهو يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق ، ويمثل الجانب الموضوعي الذي تفتقر إليه الفلسفة الجمالية ، وإلى جانب ذلك فإن الفن نظام يقتضي موازنة الكيان البشري كله في داخل النفس وفي واقع الحياة ، والتناسق شرط من شروط الفن في الإسلام .

ويلاحـظ أن الجمـال الأكـبر المستمد من ناموس الكون هو الذي ينبغي أن تمارسه الفـنون الإنسانية الرقيقة التي تتجاوب مع الكون ، والكون شيء جميل متحرك متعاطف مع الإنسان متجاوب معه تجاوب الصداقة والمودة ، والأرض والسماء متعاونتان في تهيئة الإنسان للحياة ، الأرض فيها الرزق ، يقول الله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** (الملك:١٥) ، والسماء أنزل الله تعالى منها الماء ، يقول الله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾** (النحل:١٠) .

والكون متصل متوازن ، فكل شئ خلقه الله تعالى بقدر هو متجه إلى خالقه يقول الله تعالى : **﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾** (الإسراء :٤٤) .

والقـرآن الكريم يوجه نظر البشرية كلها إلى قدرة الله تعالى التي تمثل كل شئ يقول الله تعـالى : **﴿ بَدِيـعُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** (البقرة:١١٧) .

وهـذا التصـور أسـمى تصـور عرفته البشرية ، إذ أنه يشمل الوجود كله بماديته وروحانيـته ، وموقـف الإسـلام من الفن انبثق من صميم العقيدة الإسلامية ، وهو بذلك يرتـبط بالفكر الإسلامي وفلسفته ومثاليته ، ويتلاءم تلاؤما فذا مع الإسلام ومبادئه ، فليس فـي الإسلام إله يصلب ولا وساطة بين العبد وربه ، بل إن كل مسلم يمكنه أن يناجي ربه مباشـرة ، يقول الله تعالى : **﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾** (البقرة:١٨٦) .

والإسـلام يوقـع على الحس البشري توقيعات شتى تهز الوجدان من أعماقه ، فهو يوجـه القلب إلى آيات الله تعالى في صفحة الكون ، وهو يربي الروح ويثير فيها الحياة ، يقول الله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّـهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَـيِّ ذَلِكُـمُ اللَّـهُ فَـأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾** (الأنعام:٩٥ ،٩٦) .

ثـم يوجـه القلب البشري أيضا إلى قدرة الله تعالى التي تمسك بيدها كل أمر وتدبر وحدها كل ما تريد ، وقد وضحت آية الكرسي كل ذلك ، كما يوجه القلب البشري إلى علم

الله الشـــامل ، يقول الله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْــبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) .

والفن في الإسلام يصور الإنسان على صورته المزدوجة – قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله – وفي طريقه يلتقـط لحظة الهبوط على أنها كذلك ، وتصور لحظة الإفاقة من الهبوط على أنها بطولة ، ولحظات تستحق التسجيل كلحظات تفتح الزهور ،

يقـول الله تعـالى : ﴿ وَالَّذِيـنَ إِذَا فَعَلُـوا فَاحِشَـةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولَـئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٥،١٣٦) .

والإســـلام لا يصادر أشواق الناس ولا يطلقها دون حدود ، بل إنه يدعـــو الناس إلى الالـــتزام بالقـــيم العلـــيا التـــي تبني المجتمع السليم القائم على تحقيق الرغبات في حدود الضـــوابط الشـــرعية ، والإسلام يرفض فكرة الصراع بين الإنسان والقدر ، وهي قاعدة العمـــل المسرحي المستخدم في الحضارة الإغريقية ، والفن الإسلامي يجعل مساحة الخير كثـــيرة ، أمـــا الشـــر فـــلا يتوسع في تصوير بشاعته ، ولا يقر العبثية ، يقول الله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون:١١٥) .

والفـــن فرصة للتعبير عن النفس ، وقديما كانوا ينظرون إلى الدور الذي يقوم به فنّهم فـــي المجـــتمع على أنه دور الترفيه والتسلية ، والحقيقة أن له رسالة وله دور إيجابي في مجال الكشف عن النفس الإنسانية ، والنفاذ إلى أسرارها وسبر أغوارها البعيدة ، وتعميق الشعور بالحياة ، والتطلع إلى ما هو مخفي من العواطف والمشاعر .

والفـــن فـــي الإسلام يتحدث عن المشاعر التي تربط بين الجنسين في حدود نظيفة ، وقصـــة موسى عليه السلام مع ابنة شعيب فيها عرض لعواطف أنثى نظيفة تجاه رجل ، فقـــد أعجبت به لقوته وشهامته ثم أمانته المتمثلة في المحافظة عليها وعلى عرضها وهي معـــه فـــي الطريق إلى دار أبيها ، ويزوج موسى عليه السلام إحدى ابنتيه على أن يأجره ثمانـــي حجج ، وقصة يوسف عليه السلام تمثل قصة الهبوط الجنسي ، ومع ذلك فإننا لا نجـــد فيها أمارة التلذذ بالجنس والإعجاب بلحظة الهبوط والمتعة بالمشاعر المنحرفة ، بل فيها إفاقة للوصف بلا إثارة نفسية ولا تلذذ ولا فساد .

والحـــب طاقـــة من طاقات النفس ، حب شامل للوجود كله ، والحب الإلهي يمكن أن يســـتوعب فنا قائما بذاته ، حب الله تعالى ، وحب الولد ، وحب الوطن ، وحب الطبيعة ، وكل ذلك لا تدخله غاية الجنس .

والقصـــة في القرآن الكريم نظيفة ، إذ أنها حين تلم بلحظة الضعف البشري لا تصنع مـــنها بطولـــة ، بـــل تعرضـــها عرضا واقعيا حازما لا يقف عندها ، إنما يسرع ليسلط الأضواء على لحظات الإفاقة والتغلب على الضعف البشري ، وحين يعرض الفاحشة فإنه لا يعرضـــها للـــتلذذ بها ، بل إنه يعرضها ليفسح المجالات لأحداث الحياة العليا الجديدة ، وتفتح المجال للتصور الإيماني الكبير للكون والحياة والإنسان .

والكــون فــي التصــور الإســلامي شئ جميل متحرك يحس بتعاطفه مع الإنسان ، والإنســان مــتجاوب معه تجاوب الصداقة والمودة ؛ لأن الله تعالى خلق الكون لينتفع به الإنسان ، وليعمر الأرض طبقا لمنهج الله تعالى .

والجمال جزء أساسي من التصور الإسلامي ، فالسماء مزينة بالمصابيح ، والأرض مـتعاونة علــى الحياة ، وقد بارك الله فيها ، وقدر فيها أقواتها ، والكون كله متعاون في تهيـئة الحـياة للإنســان وتحقيق خلافته ، ولذلك فإن مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المتفتحة بالإيمان .

وعلمــاء الإســلام ليست لهم قداسات خاصة ، بل هم مبلغون لما درسوه من مبادئ الإســلام وتعالــيمه ، ومن حق أي مسلم أن يناقشهم فيما يقولون ، وأن يطلب منهم الدليل المقنع ، على عكس الديانات الأخرى .

وإذا كان الإسلام يمنع ذلك كله فلأن المناسك بعيدة الصلة عن الحياة الإسلامية ، فلا وساطة بين العبد وربه ، ولا يوجد مكان خاص بالعبادة فالأرض كلها مساجد للمسلم ، ثم إن معــنى العبادة في الإسلام يتسع حتى يشمل كل شئ يفعله المسلم ليحقق به رسالته في هذه الحياة باعتباره مستخلفا في الأرض ، وذلك يمثل الزمان كله والأمكنة كلها .

والجانب الأخلاقي هو داخل الجوانب في الفنون ، وعنصر التأثير هو العنصر البارز فــي الفــن ، وأقرب وسائل التأثير يكون في تصوير الوجدانيات البشرية في صور جميلة موحية تؤثر في الوجود ، والذي يحدد القيمة طريقة تناول الموضوع .

والإيمــان الــذي يصوغه القرآن الكريم في النفوس ؛ إنما يصوغه ليرفع به مستوى الإنســان إلــى أن يكــون ذواقا لنواحي الجمال في آفاق الأرض والسماء ، ولا يتم إيمان إنســان إلا إذا نظر في الكون على أنه الصفحات التي يبدو فيها الجمال الإلهي ، والقرآن الكريم عرض المادة وشكلها وعرض الحقيقة وصورها ولفت الأنظار إلى الأمرين معا .

وعظمــة الرســول تتجلى عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على الفردية والإبداع الذاتي كي يكون كل مسلم نسيج وحده .

## أهداف الفن في الإسلام :

يهــدف الفــن فــي الإســلام إلى رؤية عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، وإبداعه في مخلوقاتــه ، وترقيق المشاعر ، وترهيف الحس ، وتجميل الحياة ، بحيث يعبر المسلم عن واقع حياته تعبيرا جماليا ، وحتى في أثناء أداء الشعائر نلاحظ أن القرآن الكريم يدعو إلى أخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْـجِدٍ وَكُلُــوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (الأعراف:٣١) ، وكذلك ترتــيل القــرآن فــي الصــلاة وفي غيرها نلاحظ أن فيه نمطا من أنماط الفنون المرئية والمسموعة أكد عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ (المــزمل:٤) ، فالتطبــيق العملــي للناحية الجمالية في الحياة مقصد من مقاصد الفن في الإسلام .

والفـــن له رســـالة وله دور إيجابي في مجال الكشف عن النفس الإنسانية والنفاذ إلى أســـرارها وســـبر أغوارها البعيدة وتعميق الشعور بالحياة والتفطن إلى ما هو مخفي من العواطف والمشاعر.

وهـــناك تماسك وتكامل وتناسق بين القيم الجمالية وبين قيم الحق والخير ، والإيمان الذي يصوغه القرآن الكريم في النفوس إنما يصوغه ليرفع به مستوى الإنسان حتى يكون ذواقـــا في آفاق الأرض والسماء من نواحي الجمال ، ولا يتم إيمان إنسان إلا إذا نظر إلى الكون على أنه صفحة من الصفحات التي يبدو فيها الجمال الإلهي.

والقـــرآن الكـــريم عرض المادة وشكلها وعرض الحقيقة وصورها إلى جانب المجد الإلهـــي ولفـــت الأنظـــار إلى الأمرين معا، وهكذا نرى أن الإسلام يبيح الفن واستخدامه بالأســـاليب المخـــتلفة بشرط أن يكون أداة للخير والإصلاح وبشرط عدم استخدام أنواعه بصورة من الصور التي تؤدي إلى الفساد والتضليل عاجلا أو آجلا.

ومجالات الفن في الإسلام هي كل مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المتفتحة بالإيمان.

## الفنان المسلم:

الفـــنان المســـلم يأخذ موارده الفنية من الطبيعة بذوق وقدرة على التشكيل ليخرج لنا مـــنها أشياء نافعة وجميلة تشهد بالاتفاق والإخلاص في تصور وتناسق في روعة الخلق الإلهـــي ، ويظهـــر ذلك في الخطوط والنقوش والزخارف والرسوم والألوان التي رسمت على المصاحف والمساجد والأبنية وغير ذلك ، وذلك كله من خلال منظار إسلامي جمالي يســـتوحي أصـــوله مـــن بدائـــع الله تعالى البالغة وآياته البينات ، ثم إن النجارة والحدادة وغـــيرها ليســـت فنونا بسيطة ، وإنما هي بالإضافة إلى نفعها المباشر للإنسان فإنها ذات صلة وثيقة بممارسة الإنسان لقدراته وإظهار المواهب التي وهبه الله تعالى إياها.

والســـبب الحقيقـــي للتكامل الفني للأبنية وغيرها راجع إلى الإسلام ، ثم إن الأعمال التقنـــية تزكي النفوس بما تقدمه من نفع وخير للناس وعمل عظيم من شهادة صفة أن الله جميل يحب الجمال ، وهذا الجمال ينسحب على الكون والأخلاق والإنسان.

والإنســـان المسلم لا تنفصل في حسه الجزئيات بعضها عن بعض حتى وهو يلم في حســـه أو فـــي تعبـــيره بجزئـــية واحدة من الجزئيات بحيث يكون في حسه منفصلا عن الوجود، يقول الفنان نورمان في كتابه [ **الفـــن الجديد للحياة** ] وهو يشرح طريقة استمتاع الإنســـان بالحياة '' إذا أردنا أن نعرف كيف يمكن أن ننعم بالحياة فلابد وأن ندرك أن سر الحياة السعيدة الناضجة يكمن في حرصنا على أن نرى ما فيها من جمال ، وجمال السماء في جوهره الأصيل وجمال الأرض في العمل الذي نؤديه ونحن نستقبل يومنا كل صباح ، وفـــي الحماس الذي يملأ نفوسنا ونحن نؤدي أعمالنا في اللحظات القصيرة التي نخلد فيها إلـــى أنفســـنا ونتأمل الحياة من حولنا ، فالحياة فن يجب أن نتعلمه ، ولكي نتقن هذا الفن فلابـــد وأن نفرق بين الحقيقة وغيرها ، فكثيرون من الناس يشدهم الزخرف دون الجوهر

وأكثر منهم الذين لا يعرفون كيف يفرقون بين الحقيقة وبين الزخرف ''.

والصـــدق الفني الذي ينبغي أن يكون هو النموذج الأعلى للأداء الفني الإسلامي الذي لم يتخل عن طابعه النظيف حتى وهو يصور لحظة التعري النفسي والجسدي الكامل بكل اندفاعاتهـــا ، ولينســـى ذلك المستنقع الكريه الذي ينزع في رحله كرقيب للقصة الواقعية والقصة الضعيفة في الحضارة الغربية بحجة الكمال والجمال الفني.

## العقيدة والفن :

ارتـــباط العقيدة بالفن يعتمد على إحساس الإنسان بأن هذا التصرف أو هذا الإحساس أو هـــذه الفكرة جميلة ، ومن ثم يستجيب الإنسان لحاسة الجمال ، وبذلك يؤدي الإحساس بالجمال دوره الخطير في حياة الإنسان ، والفن يحدث التوافق بين الحس البشري والجمال الخارجـــي ، والإنســـان يحس بالجمال الحسي والجمال والمعنوي معا ، وفي الآفاق العليا تـــدرس النفس البشرية نواميس الكون الأكبر وما تشتمل عليه من تناسق وتوافق وجمال ، وتحس بأنها جزء من ذلك الناموس ، جزء متناسق يتحمل سلوكها بتناسق مع نظرة الكون ومع الجمال.

والإســـلام هو الرسالة الخالدة ، وقد تناول الفن ليرقى به في نطاق الفطرة الكامنة ، والحاجـــة الروحـــية الطبيعية المستنيرة المستندة إلى أصل راسخ في منهج تربوي كامل ، يهدف إلى تنشئة الإنسان تنشئة جديدة ، يقع فيها التوازن الكامل بين المادة والروح .

## وكلمة التوحيد :

ما هي إلا تربية للذوق والوعي والإحساس بكل ما هو جميل ، يشبع الأفئدة ، ويشبع الأنظـــار ، وتثبيـــت للإرادة باليقين الثابت بعد اجتياز ابتلاء الفتنة والتمحيص ، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ (الكهف:٧) .

والتجربة الإسلامية ما هي إلا تجربة للتذوق الجمالي في أعلى صوره وأسماها، وهي تـــنادي الإنســـان ليحـــيا فكره وإحساسه في زينة ، ومع الزينة الجمال والفن عملا بقوله وتســـبيحا بحمده ودعاء لرحمته ، ومن خلال الفكر والإحساس والعمل والتسبيح والدعاء يـــتكون الضـــمير الـــذي يفـــرق بيـــن الحلال والحرام في عالم الفن والجمال ، يقول الله تعـــالي : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّـــةِ وَالْخَـــيْلِ الْمُسَـــوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَـــآبِ** ﴾ (آل عمـــران:١٤) ، فهـــذه الآية تجمع أهواء النفس ورغباتها في ثلاثة أشياء رئيســـية ؛ يـــتفرع عـــنها جل الرغبات البشرية بعد ذلك وهي المرأة ، والولد ، والمال ، ومعنى ذلك أن الزينة راسخة في الكيان البشري ، وهي أساس الإحساس بالجمال الذي هو أســـاس الإبـــداع فـــي الفن ، ومن مجالات تربية الإحساس بالجمال مجال الأسرة ، ولكن التمسك بالدين هو قمة الجمال .

ولتربية الإحساس بجمال الكون أشار القرآن الكريم إلى زينة السماء كآية من آيات الله تعالى ودليل على عظمة قدرته وبديع صنعه يقول الله تعالى: **﴿ولقدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾** (الملك:٥) ، ويقول تعالى: **﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾** (الصافات:٦) ، والضوابط تكون في الإيمان بالله تعالى والعمل بشريعته والأمل في ثوابه، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا .

والإسلام يفتح آفاق الحياة أمام بصر الإنسان وفكره ، فعليه أن يسعى فيها كيف يشاء، لما يجد فيه من موطن اللذة ونعمة السعادة ، وذلك بضوابط تحيي الحياة في نفسه ، وفي مجتمعه ، وفي أمته ، وصمام الأمان يظهر في قوله تعالى : **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** (القصص:٧٧) .

والفن إذكاء لمشاعر الناس وأفكارهم وإصلاح أحوالهم ، يقول الله تعالى : **﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾** (الرعد: من الآية١٧) .

ولابد من الالتزام بضوابط الإسلام ، والإنسان محاسب على كل أعماله ؛ إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، يقول الله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**(التوبة:١٠٥) .

## تأصيل الفن :

هو تعبير يقصد به الرجوع بالفن إلى أصوله الإيمانية ؛ لأن غير المسلم ينقصه التوازن مع نفسه ، ومع مجتمعه ، ومع الطبيعة ، ذلك لأنه ينكر الروح وهي مصدر إبداعه ، وكل شيء في الطبيعة يسبح بحمد الله وهو ينكر ذلك ويتعامل مع الطبيعة على أنها مادة لا روح فيها ، والإسلام إذ يربط الفن بأصوله الإيمانية ليجعله ملتزما بخدمة القضية ، فإنه بذلك يؤدي رسالة ويحمل أمانة . وإلا كان عبثا هائما في الضلال .

## تهذيب الفن :

ويعني إعطاء الفن بعده الأخلاقي ، ذلك لأن الفن المجرد من الأخلاق آفة خطيرة على المجتمع ، بالإضافة إلى كونه تشويه للقيم الجمالية ، وهبوط بالإحساس الجميل في الإنسان إلى درك الحيوانية ، فالرقص المائع ، والرسوم الفاضحة ، والسينما الخليعة ، والشعر الماجن ، والقصة السافلة ، والمسرح الوقح ، والغناء الفاجر ، وكذا جميع الفنون التي تنكر القيم والأخلاق ؛ ظاهرة مرضية في المجتمع ناتجة عن اختلال في قيمه .

والمجتمع الإيماني يرفض تلقائيا هذا الفن السافل ، ويحول المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إيماني ، وقد أكد الإسلام على تهذيب الفرد والمجتمع حتى يكون مجتمعا إيمانيا مهيئا للفن الراقي الذي ينمو فيه ، وينتشر ليؤدي دوره في الكون والحياة ، ويحافظ على

القيم الجمالية الإنسانية الخالدة لأنه صاحب رسالة سامية ؛ مثلما فعل الدكتور " **أحمد ماهر رائـــف** " رئيس قسم التصميمات المطبوعة بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية ليحصل على الدكـــتوراه فـــي الفـــن وتاريخه من جامعة كولومبيا ، وجمع حوله عشرة من أساتذة كلية الفـــنون الجميلة وكونوا فريق عمل يدعوا إلى الالتزام بأصول الفن التشكيلي على المنهج الإسلامي ، فالرسم التشخيصي المقصود به محاكاة الطبيعة محرم في الأديان الثلاثة يقول الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة:٩٠) .

فالأنصـــاب هي التصاوير المجسدة والذي قصد به محاكاة الطبيعة ، يقول النبي ﷺ : ( لا يدخـــل الجـــنة بيت فيه صورة أو كلب ) البخاري ، ويقول ﷺ ( إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون الذين يضاهون خلق الله ، يقال لهم يوم القيامة أحيوا ما خلقتم وما هـــم بقادريـــن ) الـــبخاري ، وقـــد جاء هذا الفن من الاستعمار الفكري لطمس شخصية الشـــعوب، ولكي يحس أنه لا حياة له إلا في رحاب عالم وبمعونته ، وجاء استعمار أذواق الشعوب وضمائرها أشد فتكا من الجيوش ، فنحن نستقدم أساتذة من أوربا ليقوموا بتعليمنا فنهم ، وقد نشأت في أوربا مدارس كثيرة مثل التأثيرية والتجريدية .

## توظيف الفن:

يقصـــد بتوظـــيف الفـــن أن يصبح الفن وسيلة من وسائل التربية ، وسبيلا من سبل الدعوة إلى الله ، والفن الجميل يكون غذاء روحيا لكل أفراد المجتمع ، ولذلك فإن علينا أن نهتم بتسخير المسرحية المقروءة والقصة والرواية والشعر وغير ذلك ، وبذلك يكون الفن عنصـــرا مـــن عناصر الدعوة الإسلامية وبناء للمجتمع الإسلامي السليم ، كما ينبغي أن يكـــون الفن إيجابيا ؛ يبشر ولا ينفر ، يبني ولا يهدم ، يضمن للنفس استراحة مشروعة ، ويطرح عنها ثقل الحجر الذي لا يتحمله ، ويوفر لها جو الانشراح والسعادة والنشاط .

وقـــد حث الإسلام على التأمل فيما خلق الله تعالى في الطبيعة وما فيها من جمال في السماء وفي الأرض ، فقد زين السماء الدنيا بالكواكب ، وجعل الأرض بما خلق فيها من كـــل زوج بهـــيج ؛ من الزهور المختلفة ، والحيوانات ، والطيور المتنوعة الجميلة ، إلى درجة أن يقول :﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ﴾ (النحل:٦) ، فالجمال أوضـــح عـــند العـــودة مـــن الذهاب إلى الحقل لأنها تكون قد أكلت وشربت ، ولذلك قدم الإراحـــة على السرح ، ثم دعا إلى أن يكون الإنسان جميلا في مظهره وفي مخبره ، فالله تعالى جميل يحب الجمال .

## مجالات الفن في الإسلام :

وهي تتمثل في كل مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المتفتحة بالإيمان ، وقد نبه إلى هذا المؤرخ والناقد الأمريكي " **ريتشارد أميجازون** " فقال في كتابه **[ فن التصوير**

**عـند العـرب]** ( إن الرسول محمدا لم يعتبر نفسه سوى إنسان قد اختاره الله تعالى لأداء رسـالته ، فهـو لم يزعم أنه يصنع المعجزات وأنه يتمتع بقوة خارقة للطبيعة ، فلم يرع الإسـلام التصـوير الديني الذي يدور حول حياة الرسول ، وبدلا من ذلك رفعت الرسالة الإسـلامية بشـكلها المكـتوب إلى منزلة عظمى ، وبدلا من التصاوير المقدسة استعملت أقسام من نصوصها في أشكال زخرفية في الأبنية ) .

وتقـول الأسـتاذة "**عـايدة عـبد الكـريم**" فـي مقال لها بمجلة [ **الثقافة عدد يناير ١٩٩٨م** ] : ( إن غياب الصورة لم ينقص شيئا من جوهر الفن للتمكن من الوعي الديني في قلوب الناس ، فما زال الفن الإسلامي يأخذ بتلابيب القلب البشري الواعي من مختلف أنحـاء الأرض ، يملـي عليه من جماله وجلاله وروعته وسحر جاذبيته وإعجاز إخراجه وشموله بكل ما احتاجه الإنسان في دينه ودنياه ) .

## الإسلام يخلص العبودية لله :

يقـول " **ويماند** " في معرض حديثه عن صلة الإسلام بالفن : ( إن انعدام الصلة بين الديـن الإسـلامي والفـن أمـر ظاهر ، على عكس ما هو معهود في الديانات الأخرى كالـيهودية والنصـرانية والبوذية ، وقد قيل إن الفن – ولا سيما في منتجاته العليا – بعيد عن الفكرة الدينية من الإنسان بوساطته وان الفن والدين توأمان منذ البداية ، ولكن هذا لا يصـدق على الدين الإسلامي والفن الإسلامي ، ذلك لأن أهم ما يميز الإسلام أنه يخلص العـبودية لله وحده لا شريك له ويبعد هذه العبودية عن أية شائبة يمكن أن تؤثر على مدى الأيام ) ، وقد أرجع " **اتيج هارمن** " موقف الإسلام من الفنون إلى أربعة أسباب :

١- خوف المسلمين من اليوم الآخر دعاهم إلى محاربة الترف ، والترف نوع من الفن.
٢- عقـيدة المسلمين في أن محمدا بشر وليس كعيسى كما يقول النصارى دعاهم إلى عدم تطوير فكرة التماثيل.
٣- خضـوع المسـلم لله القـادر علـى كـل شيء دعا المسلمين إلى إنكار الفن التشخيصي.
٤- عقـيدة المسـلمين واهتمامهم بالقرآن الكريم دعاهم إلى ظهور أنواع من الخط العربي.

ويلاحظ أن الفنان المسلم له ذوق خاص ينفرد به؛ لأنه ينطلق من عمله بثقة لا نهائية فـي العـون الإلهـي ويندفع إلى التقرب من الله تعالى – ولذلك فإنه يلهم ببعض الأسرار الربانـية – وما دام الفنان أمينا صادقا لا يدعي لنفسه شيئا غير مقبول ، ولكنه يرجع ذلك إلى المنة الإلهية ، فلن ينقطع الإلهام ، والفن الإسلامي يتجاوز الفنون الجسدية والمحدودة، والمسلم لا يتقوقع داخل نفسه معبرا – في إيمان – عن بدائع خلق الله تعالى .

وحسـب المسـلم أن يستخدم موارده الفنية عن الطبيعة بذوق وقدرة على التشكيل ، ليخرج منها بأشياء نافعة وجميلة ، ويتمثل هذا في الخطوط وغيرها .

# الفن في الحضارة الغربية

الفن في الحضارة الغربية أدخل محظورين خطيرين في الفكر الإسلامي :
الأول : أنه أعطى كاتب القصة التاريخية حرية التصرف في الواقع بما يتفق مع هواه .
الثاني : أنه أعطى الحرية في اقتحام المحرمات تحت اسم الإبداع والفن .

ومن هذا المنطلق ظهر المذهب الوجودي لـ " سارتر " ، والمذهب السريالي الذي يهدف إلى هدم جميع الحركات الذاتية النفسية ، ومن أهدافه الأساسية هدم كل معتقد ، وهو لذلك يخضع لفلسفة " فرويد " في إعلاء الجنس وفي تفسير كل شئ به ، حتى رضاعة الطفل من ثدي أمه .

والفنان الغربي يجعل الصور المجسمة بعامة ، وجسم الإنسان بخاصة له المقام الأول في فلسفة الجمال ، وهذا معناه الهبوط بالفن إلى اللاوعي والمحاكاة اللاواعية ، ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية في الغرب ما هي إلا حوار مكرر من الإنسان وصورته وتقوقع الإنسان داخل نفسه .

والعرب كانوا يستعملون الصناعة للإشارة إلى الفن بصفة عامة ، وقد فهموا أن الفن هو الإنسان مضافا إلى الطبيعة ، وكتاب الصناعتين " لأبي هلال العسكري " بيّن فيه فن الكتابة وفن الشعر وغير ذلك ، يقول مالك بن نبي ( إن اتجاه الحضارة الغربية قد أعطى الأولوية للمبدأ الجمالي على حساب المبدأ الأخلاقي ، ومن هنا فإن الفنان الغربي ينطلق في التعبير عن ذاته دون مراعاة لضوابط معينه ، كما يقال في نظرية " الفن للفن " ، ولكن اتجاه الحضارة الإسلامية يعطي الأولوية للمبدأ الأخلاقي على المبدأ الجمالي دون إلغاء المبدأ الجمالي .

## المذهب العبثي :

من المذاهب الهدامة التي ظهرت وانتشرت في الغرب وهو مذهب يدعو إلى التحرر من قيود أي مسلك أخلاقي ، ويدعو إلى بتر منابع الفكر واللغة معا ، ويعمل على تحقيق ثلاثة أهداف : ١- تحطيم النظام الاجتماعي . ٢- توهين العزائم في كل مكان .
٣- إحياء النزوات البشرية .

ويركز المذهب العبثي على حرب اللغة العربية ، بدعوى أن في قواعد اللغة العربية ثوابت لا تخضع لأي تغيير وذلك إنكار للثوابت التي يقيمها الإسلام في مختلف المجالات - وحرية الفكر في الإسلام موسومة دائما بالانضباط والتوازن الكامل - وقد كان الإسلام دائما حاكما في الحضارات والأمم ولم يكن في يوم من الأيام خادما لأهواء أهلها أو مبررا لانحرافها ، وتحت قشرة المسيحية الرقيقة ظلت في شعور الأوربيين تلك النظرة الإغريقية إلى الله ، فالعلاقة بين البشر وبين الله هي علاقة السرقة والاغتصاب والانتقام في وحشية وعنف .

## منطلق الفن :

وفـــي الغـــرب ينطلق الفن من أن مدلول كلمة الفن الاصطلاحي يشمل أشياء كثيرة مرفوضـــة إسلاميا كالنحت والرقص والتماثيل والموسيقى المثيرة ، وأوسع مجالات الفن فـــي الإســـلام الشـــعر والفنون النثرية المختلفة ، ويضاف إليها فنون الزخرفة والخطوط المتنوعة ، والفن الإغريقي مشغول إما بالإله وإما بصراع الآلهة مع الإنسان ، ولذلك فإنه يسير في انحرافات متنوعة ، والمسرحيات اليونانية الشهيرة فيها هذا الصراع ، إلى جانب عبادة الجسد التي تجعل من الجسم الجميل إلها يعبد وتقدم له القرابين .

وأدب الجـــنس في الغرب يصور الحياة كلها على أنها لحظة جنس طاغية مسعورة ، فـــلا هـــو فن ولا هو جمال ، ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية ما هي إلا حوار مكرر بين الإنسان وبين صورته ، وتقوقع الإنسان في داخل نفسه .

والســـينما الغربـــية تصور المرأة وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجال وخيانة الزوج ، واختفـــت عندهم صورة المرأة المكافحة التي تعيش في ظل المعاني الأسرية ، وأصبح لها الحق في ممارسة كل أنواع العبث في حرية تامة ، وإلا فهي الضحية وهي المظلومة في حقوقها الإنسانية ، وباسم الحب ترتكب كل الآثام ، فتهرب المرأة ، وتخون ، وتدمر ، ثم تلـــتمس لها الأعذار ، وأصبح أبطال السينما هم القدوة والمثل العليا لشباب الجيل ، يقلدون مـــا يـــرون في السينما من تصرفات ، وأزياء ، وزينات ، وأفكار ، وحوادث ، وأصبح اخـــتطاف الزوجة تحت اسم الحب بطولة ، وتمرد الفتاة على توجيهات والديها لكي تثبت ذاتهـــا وتخـــتار طريقها ، بينما يسمو فوق وصف الطبيعة المحدودة ليحوي كل شيء في الكون معبرا في إيمان عن بدائع خلق الله تعالى ، وحسب المسلم أن يستخدم موارده الفنية عن الطبيعة بذوق وقدرة على التشكيل ليخرج منها بأشياء نافعة وجميلة ، ويتمثل هذا في الخطوط العربية .

## الفن للفن :

هذه القضية حينما طرحت في أوروبا فإنها طرحت لتحرر الإنسان من الالتزام بالقيم الخلقـــية والدينية السائدة بحيث تترك له الحرية المطلقة في كل التصرفات الفنية ، وظهور اتجاهـــات فنية حديثة " كالخرية السريالية " لتفرض نفسها في فترات الاضمحلال الخلقي والـــتوتر والقلـــق النفســـي الذي ساد الفكر الأوروبي بوجه عام ، وهذا ما جعلهم يتركون للفنان الحرية الكاملة في كل ما يفعل دون ضوابط .

والـــناقد الفني " جان كلير": (يؤكد على أنه منذ الحرب العالمية الثانية حدثت تحولات جذريـــة فـــي المجـــال الفني ، وتدفق سيل من الاتجاهات المبتذلة ومحاولات الهدم الفني والرغـــبة الجامحـــة فـــي التدمـــير ، وذلك الطموح لفت الأنظار اعتمادا على التحريف والتزيـــيف ومـــن أمثلـــته الشراسة الفن النظري البدائي اللاأشكلي الكهربائي إلى أكثر من مائتـــي صنف للفن الحديث لهذه المسميات التي داهمت هذا العصر ) ، ويقول : ( إن هذه

المسميات تنم عادة عن عمليات تزييف واسعة للدوافع والكلمات والأفكار لإخفاء اللعبة المستمرة التي كانت تتم خفية ) ، ويقول الدكتور فؤاد زكريا : ( إنها القدرة على اقتحام المحرمات الثلاثة : الدين والسياسة والجنس ، فهو المجال الحيوي الذي يتحرك فيه الإبداع ، ومعنى هذا أن حرية الفنان في الإبداع هي التي تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والحرمات وإهانة المقدسات والاستهانة برموز الإسلام وتخريب الأخلاق ، وهي التي أدخلت في بيوت المسلمين كل معاني الفحش والرذيلة بدعوى الضرورة الفنية وحل مشكلات المجتمع ) .

الحضارة الغربية تجعل من الصور الحسية والمجسمة في جسم الإنسان المكان الأول في فلسفة الجمال والفن ، وذلك يجعل الصورة مكررة ، كما أنها تمنح الكائن البشري باسم الصدق الفني الحرية الكاملة ، وهي تقف أمام لحظة الجنس كما لو كانت هي كل وجهات الحياة البشرية ، يحملها فينشئ فيها مستنقعا واسعا عميقا مرتبطا بالأزهار الشيطانية – بروتوكولات حكماء صهيون – التي تريد تحرير الإنسان من كل شيء إلا من حيوانيته ، فذلك أضمن الطرق لتدمير البشرية ، وهي تتخذ من الفن وسيلة هذا الشر كله إلى جانب ما تتخذه من نشر المذاهب العلمية المؤدية إلى نفس الهدف مثل الدارونية ، الفرويدية ، الماركسية ، الاشتراكية العلمية ، وقد غزانا الغرب بأفكاره حتى أصبح الفن عندنا قاصرا على التمثيل ، والغناء ، والرقص ، والتمثيل العاري ، مع أن الفنون ما هي إلا مجموعة من المهارات البشرية على اختلاف أنواعها والتي تبني ولا تهدم.

## المستشرقون :

هم يجعلون الفن المسيحي بكل خصائصه هو الأساس ، ثم يبدؤون في نقض الفن الإسلامي ، فإذا كان هذا الفن لا يبيح التجسيم فهو عندهم خال من الجمال ، ذلك لأن الفن كما يقولون هو المعبر عن المأساة الدرامية بعناصره المتحركة ، ويقولون إن إله الإسلام جامد ، أما إله المسيحية فهو حي متحرك يشعر ويتألم وينزل ويتجسد ويموت ويحيا ، وأن عبادات الإسلام فيها جفاف على عكس طقوس المسيحية فهي ثروة وراثية هائلة ، لأن دم المسيح وجسده يعطيان للمتعبد في كل طقس ما هو في حاجة إليه ، وهذه دفعت بالوجدان المسيحي إلى الإبداع الفني الذي هو غير موجود في الإسلام ، وقد رتبوا على هذا جهل الفنان المسلم بالفن وأموره ، واتخذوا مثالا على ذلك النمنمات .

ولكننا نلاحظ أن بعض المستشرقين وعلماء الغرب تنبهوا إلى خصائص الإسلام في الفن يقول العلامة " كروسيل " : ( ليس في الإسلام قداسات دينية تتطلب مراسمها كاتنا مقدسا ، فأي مسلم يستطيع أن يقوم بأية شعيرة دينية ويستطيع – إلا في حالات معينة – أن يقود الناس فيها ) ، ويبين العالم الأستاذ " كويلد يونج " اختلاف الإسلام عن المسيحية في قوله : ( أن الإسلام يختلف عن المسيحية الرومانية في أنه لا يتخذ لنفسه نظم الكنيسة والقسيسين ، ولقد تبدو البروستانتينية الخالصة دينا كهنوتيا إذا وازناها بالإسلام الذي يحرص على التوحيد الخالص والذي لا يتحمل أي تدخل بين الإنسان وخالقه ) .

# فنون إسلامية

كان النبي ﷺ يهدف إلى إرساء قواعد التشريع الاجتماعي ، ويعمل على سلامته من شوائب الشرك ، وكان العرب قريبي العهد بالوثنية ولذلك حطم الأصنام يوم الفتح حتى لا يبقى لها ما كان من تعظيم في الجاهلية .

## تحطيم الأصنام :

يهـدف إلـى تحطيم كل ما كان يعبد من دون الله ليحفظ العقيدة الإسلامية من ميول النفوس إلى الهوى ، وقد استفاد الفنان المسلم من الفنون الزخرفية العربية في تزيين أوجه الحياة اليومية كلها، وقد خلع فن الزخرفة العربي طابعه المميز على الفن الأسباني .

وفـي الهند وشبه جزيرة آسيا الصغرى وحيثما يواجهك هذا الفن تستطيع أن تتنبه في الحـال وتعرف مسماة حيث أن الفن الإسلامي لم يجد نفسه أثير شعب أو بيئة أو فئة من النـاس ، بـل إنه فن المسلمين في كل زمان ومكان ، فن عالمهم المترامي الأطراف من مشـارق الأرض ومغاربها، والذي يربط الجماعات والشعوب منذ تاريخهم المبكر ، وقد اكتسب الفن الإسلامي صفات عامة ، والعناصر المشتركة وصمت صفاته المميزة .

وبصـمات الإسـلام ورؤيـته للكون والعالم تمتد في مجال الفن كي تسجل التكوين المعمـاري نفسه انطلاقا من المسجد والذي هو المبدأ والمنتهى لاكتساب ملامحه الأساسية مـن طبـيعة وظيفته التي أريد له أن يؤديها ، وذلك حافزا لا إرادي نحو دمج السماوات ومجـال قربها في بيت العبادة الذي هو نادي المسلمين إلى شكل القبة وإلى المكعب الذين يمـثلا وحـدة العالمين عالم السماء وعالم الأرض ، وقد وفق المعماريون المسلمون إلى إبداع آثار لا ريب في سمتها الإسلامية الخالصة .

## فن الكلمة :

عـندما خلـق الله تعـالى الإنسان قال كلمة ، ويوم عمر الأرض كانت لكلمة ، ومن وسائله وأدواته ، ويوم احتاج البشر إلى تقويم أخطائهم كان ذلك عن طريق الكلمة ، يقول الله تعالى ﴿ نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم:١) .

وقـد تعـددت أقـلام الكتاب والكاتبين منذ البعثة المحمدية حتى فاقت الخمسين دقة ونظامـا ، ورقـة وغلظـة ، واستطالة وقصرا ، وسلاسة وتعقيدا ، وبساطة وتركيبا ، وانبسـاطا على سطوح العمارة ، وكتابة على صفحات القراطيس حتى أصبح من شرف الكاتـب عـندما يملك ناصية القلم أن يكتب صفحة من صفحات من كتاب الله – وبقدر ما كتـب الكـتاب مـن صفحاته معجزون حتى أصبحت طبعات مصاحف القرآن تنسب إلى كاتبها فهناك خط زهدي أو الرفاعي أو السلطان عبد الحميد أو السلطان محمود وقد جاهد

في تعلمها العرب والعجم من أمة الإسلام .

وقد تابع الغرب كل ذلك دراسة للفكر ومدارسة للجمال ، ولم تلبث تلك الدراسات أن لفتت أنظار أصحاب الفنون في الغرب ، نعم إنهم لا يعرفون مضمون الكلمات ولكن يبهرهم شكلها وتنوعه ، ناظرين إلى أشكال لها نظرة محددة عن المعنى ، فالكلمة أمام أحدهم لا تمثل معنى أو مجمعا لمعاني متناسقة ، وإنما تتمثل حركة قلميه ومتناسقات شكلية من ارتفاع قوائم الكلمات وانحناء أطراف الحروف في تسلسل يعوض شكله أسلوب الشاعر أو الناثر.

ويحاول الفنان الفرنسي " بول كلير " تقليد الشكل العربي للخط ، ويتابع بعض الفنانين الأمريكيين السير على نظام أشكال اللون المعماري أو غيره .

والخط العربي استعمل في تجميل أماكن العبادة من الداخل ومن الخارج ، وفي الأثاث والسجاد والملابس والمباني على اختلاف أنواعها – وذلك يجمع أنواع الخطوط .

## الأدب :

الأدب الإسلامي أرسى قواعده كلها على إعجاز القرآن الكريم ، فالمسلم الذي يقرأ القرآن في كل يوم بهذا الأسلوب المعجز ، يتربى بالقرآن على الجمال وتعمق حساسيته ، ويصقل ذوقه فيكون أقرب الناس إلى التفاعل الفني والجمالي بكل عناصر الكون وكل قيمة من قيم الحياة ، فيهز ذلك وجدانه ويدفعه إلى التعبير عن تجربته والقيام بمحاولات جادة لإغناء تلك التجارب والفتح الحسي على عوالم أعمق وأبعد .

والمسلم الذي يتربى بالقرآن الكريم يعيش في كينونته – بالحق والجمال معا – ويكون رقيق العاطفة حين يتذكر الآخرة وما أعد فيها للمتقين أو الباغين .

والأدباء الفنانون أعطتهم الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الكثير من التعاليم ، وحركت أفئدتهم وأعطتهم شعلة المعرفة والقيم والمقاييس في عالم جديد ، يقول الدكتور "عماد الدين خليل " في مجلة حضارة الإسلام عدد شوال ١٣٩٨ هـ : ( عندما دعا الإسلام إلى التأمل في الطبيعة كانت النظرة إلى الجانب التجريبي العملي لاستغلال كنوزها وإمكاناتها وإلى الجانب الانفعالي الجمالي من أجل تنمية وتهذيب الإحساس البشري ورفعه إلى الدرجة التي يستحقها الإنسان مخلوقا متذوقا حساسا وهو ما يهدف إليه الفن ) .

ويقول كلير : ( إن الطبيعة تحدث هزة روحية في نفس الإنسان وتدفعه إلى التعبير عن طريق العقل والحركة والجهد والإبداع ، فليس في تصور الفنان المسلم ثنائية وازدواج بين فن العبادة والحدس السلبي لأن هذه محذورة إلى تلك لأن العبادة في الإسلام إنما هي تعبر عن التأمل ، وإن المعنى العميق للآية الكريمة : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (آل عمران :١٩٠ ، ١٩١) تبين لنا أن التفكر في الكون دفعهم بعفوية

وانسجام إلى أن يصلوا لله تعالى بحركات تعبيرية يقيمون عن طريقها منافذ وأبوابا حركية للتخفيف من التوتر النفسي الإيجابي الذي ولدته تجربة الحدس والتعمق في كيانهم المحبوب ، وتلاوة القرآن الكريم لها مبادئ ثابتة واضحة في علم التجويد ، ويشترك في هذا الفن المسلمون من جميع أنحاء الأرض .

ويلاحظ أنه لا توجد أمة من الأمم أحست بجمال الكلمة أو تأثرت بها مثل الأمة الإسلامية ، ولم تعرف أية أمة أثرت على لغات عدة بمبادئ الجمال اللغوي والأدبي كاللغة العربية .

## فن الحب :

الحب طاقة من طاقات النفس البشرية ، حب شامل للوجود كله ولعلاقة الإنسان بربه وبالبشرية وبالكون كله .

والحب الإلهي وحده يمكن أن يستوعب فنا قائما بذاته – وهذا الحب عجيبة من أعاجيب الأحاسيس البشرية – وقصة واحدة في لحظة خاطفة تفعل في النفس ما لا تفعله أجيال من التجارب والأحاسيس بين الثقافات .

والتدافع بين الخير والشر يقاوم في داخل النفس رغباتها المنحرفة ، ويقاوم في المجتمع كله كل أنواع الشرور والقيم الفاسدة ، ويبدأ فن الحب من حب الله تعالى وحب رسوله ، الحب الذي يجعل المسلم يلتزم التزاما كاملا بكل أوامره ونواهيه مع الدعوة إلى الله على بصيرة ، ثم حب الأسرة الصغيرة والعائلة الكبيرة والمجتمع كله ، حبا يجعل الإنسان يؤدي واجباته كلها قبل أن يطالب بحقوقه .

وفن الحب هو فن تحويل الرغبة الهائمة إلى عاطفة دائمة ، والحب يقوم على غريزة ، ونجاحه يتطلب قوة الإرادة والصبر ومدافعة الشخص الآخر .

## التفسير الجنسي للسلوك :

فرويد جعل الجنس هو المحور الرئيسي لكل نظرياته ، أسطورة العشق الجنسي للأم أخذها باعترافه من مثال أوردة دارون في عالم البشر ، ثم زعم أن كل ولد ذكر في التاريخ يعشق أمه عشق الجنس وكل بنت تعشق أباها ، ثم يفسر السلوك كله بذلك الطعام والشراب والنوم والتبول والرضاعة .

والإسلام ينكر ذلك كله ، ولا يمجد العاثر الهابط ، ولا يهتف بجمال المستنقع كما تفعل الواقعية، إنما هو يقيل عثرة الضعف ليستجيش في النفس البشرية الرجاء كما يستجيش فيها الحياة ، فالمغفرة من الله ( ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ) .

والقيم الإسلامية تبحث عن المشاعر التي تربط بين الجنسين في حدود نظيفة ، مثل قصة موسى مع ابنتي شعيب فهو عرض لعواطف أنثى نظيفة تجاه رجل ، عواطف الإعجاب بقوته وشهامته ، ثم أمانته المتمثلة في محافظته عليها وعلى عرضها وهي معه

في الطريق ، والقرآن الكريم يقر هذه العواطف فيؤديها في صراحة ووضوح .

وقصة يوسف عليه السلام تمثل قوة يوسف في تمسكه بالعروة الوثقى ، وتمثل لحظات الجنس في القصة ودوافعه أخذت مساحة كاملة في حدود المنهج النظيف اللائق بالإنسان في غير تردد ولا نقص ولا تحريف للواقعية البشرية في شمولها وفي صدقها وفي تكاملها ، ولكن استثناء تلك اللحظات لمساحتها المتناسقة مع قيمة الأحداث والمواقف لم يكن معناها الوقوف أمامها كما لو كانت هي واقعية الكائن البشري وكما لو كانت هي محور حياته كلها وهي كل حياته التي نستغرقها ، كما تحاول الحضارة الغربية أن تغرس في نفوسنا أن هذا هو الفن الصادق .

نعم إنها قصة تمثل لحظة الهبوط الجنسي عند امرأة العزيز ، ومع ذلك فإننا لا نجد إثارة التلذذ بالجنس والإعجاب بلحظات الهبوط والمتعة كالمشاعر المنحرفة ، إنها تمثل جمال الوصف بلا إثارة جنسية ولا تلذذ .

والجنس في الإسلام يقوم على تكوين الأسرة واستقرار العواطف وتخصيص أنثى لكل رجل ليكون المحضن الصحيح لتربية الأجيال الناشئة في عش هادئ يتمتع بالسلام والاستقرار .

والإسلام يستجيب لأشواق الإنسان العليا على طريقة الإنسان لا على طريقة الحيوان، فقد خلق الله تعالى المرأة من نفس الرجل لتكون سكنا له وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمرأة ستر روحي ونفسي وجسدي للرجل ، وكل منهما يحرص على الآخر عرضه وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف شئ منها فتراه العيون .

والجنس يأخذ مساحة واسعة في النفس الإنسانية لا يأخذها في عالم الحيوان – مشاعر وعواطف وفنون من الغزل – شوق للجنس الآخر ومودة وألفة ورغبة في القرب، ولكنه لا ينقلب من كونه وسيلة إلى غاية ، وسيلة لحفظ النوع وترقيقه وتربيته ، وبذلك لا يطغى على حسابات أخرى مخصصة لغيره ، ولا يفسد تكوينه الطبعي المترابط ، ولا ينفصل بذاته عن بقية المشاعر فهو ليس جنسا خالصا لا علاقة له بالنفس؛ بل إنه يسكن إليها وذلك هو الهدف من الزواج في عالم الإنسان .

ويلاحظ أن النساء يظفرن بالسعادة بمزيد من السهولة مع الرجال الذين يمتازون بقدر ملحوظ من الرجولة والنشاط ، كما أن الرجال يظفرون بمزيد من السهولة مع النساء العاطفيات الراضيات بأن يكون زمام الأمور في يد الرجل .

## فن الزواج :

الزواج هو الرابطة القوية التي يستطيع الإنسان أن يحتفظ بها طوال حياته ، وهو ينمي العواطف الصادقة بين أفراد الأسرة ويجعل كل فرد يسارع إلى العمل المطلوب منه بإحساس جميل ، ويجعل المرأة تحتفظ بأنوثتها ، والرجل يحتفظ برجولته ، وبذلك ينشأ العطف الجميل الدائم ، والتضحية بكل شئ في سبيل الحياة العائلية ، والإحساس بالمساواة ، والطفولة السعيدة التي يشرف عليها والدان يحبان أطفالهما حبا إيجابيا .

والإسلام ألزم الرجل بما يجب أن يكون عليه ، وألزم المرأة بما يجب أن تؤديه وفق دستور اجتماعي سليم يحفظ لها حق الحياة ، ويؤكد الروابط ، ويقوي نظام الأسرة ، ويبعدها عن فوضى الانحطاط بعد أن سن الحدود لكل خارج عن إطار الفضيلة .
وهكذا نرى أن الزواج ما هو إلا ستر روحي وجسدي لكل من الرجل والمرأة على السواء ، والعواطف ليست حراما في الإسلام عواطف الإعجاب والحب وما يصحبها من أفكار وسلوك – ولكنها تهدف إلى تحقيق الحياة في جو سليم نظيف – فالحديث عنها وإبرازها في صورة نقية وجميلة موحية جزء من أهداف الفن الإسلامي .
والزواج هو الرابطة التي يستطيع الإنسان تقويتها ، وهو الرابطة الاجتماعية التي تمنح الحب مزيد من القوة ، وقد سميت الأسابيع الأولى للزواج شهر العسل لأن كل المصاعب تنسى في نشوة الليالي الأولى حيث يتخلى الرجل عن أصدقائه وتتخلى المرأة عن رغباتها الشخصية .

## فن الحياة العائلية :

الأسرة جماعة طبعيه تحولت إلى جماعة دائمة بفضل ما تلقاه من مساعدة التوافق ، وفي الأمومة يسهل التفاني ، والأم تضحي بنفسها بمحض رغبتها في سبيل طفلها لأن طفلها جزء منها ، وحب الأمومة قائم على إنكار الذات .
ومن الأهمية أن يشعر الأطفال بأنهم يتمتعون بأنصبة متساوية من الحب ، ولا يسمح لهم باكتشاف وجود خلافات بين والديهم ، ويجب أن يكون الوالد فاهما حازما ، والطفولة السعيدة هي التي يشرف عليها والدان يحبان أطفالهما حبا مترفقا حنونا ، ويفرضان عليهم نظاما دقيقا ويحرصان على المساواة الظاهرة بينهم .

## فن الصداقة :

الصداقة رابطة وثيقة ، والإنسان اللائق بالصداقة هو ذلك الذي لم يثر في الناس شعورا بالاشمئزاز منه ، والصديقان يساعد كل منهما الأخر كلما سنحت الفرصة ، وانعدام الأغراض والأهواء الشخصية من المميزات الضرورية للصداقة الحقيقية ، ومن مميزات الصداقة تبادل الإعجاب ، ويظهر فن الصداقة في التعاون على الخير وتبادل المنافع ، والإيمان الصادق هو الذي يحمل الإنسان على الإخلاص في الصداقة ، فلا تتخذ الصداقة لنيل غرض ما ، فإذا ما تم ذلك زالت الصداقة أو تزول عند الشدة ، والصداقة الحقيقية ليس فيها حقد ولا حسد ، بل ويظهر فيها الإيثار لا الأثرة ، والصداقة الحقيقية تخفف من متاعب الإنسان وقلقه ومن الشعور بالملل والسأمة والتوتر والعجز عن التصرف السليم عند ما تضطره الظروف إلى التعامل مع الأخرين ، بينما الصداقة في الحضارة الغربية تتسم بالمتعة العاجلة سواء أن كانت مادية أو جنسية ، ومن هنا بدأت الصداقة بين الفتى والفتاه التي أباحوها إباحة كاملة دون ضوابط .

## فن التفكير :

التفكير هو الجهد الذي يبذله الإنسان في محاولة البحث عن طرق الجمع بين الرموز والصور بالتأثيرات التي سوف تنتج عن أعمالنا في دنيا الحقيقة ، والتفكير السليم جزء من فـن الإيمـان وهـو الـذي تتوغل أسسه في أعماق الإنسان ، والمفكر ينبغي أن يعترف بأخطائه ويتصل بالحقيقة الواقعة ويستبق الخواطر التي تقضي عليها التجربة .
والتفكـير الإنسـاني يسـتطيع أن ينطلق بشجاعة من فترة إلى فترة أخرى ، والعقل الإسـلامي سـار بالفطـرة مع الفنون ، ولكنه قام بضبطها الضبط الصحيح ، وفي أثناء التدريـب على اللغة كان منها رعاية الجمال ، ففنون البلاغة البيان والمعاني والمحسنات البديعـية هـي الجمـال الأدبي والبلاغي ، وهذا الفن يخلق بطولة ورجولة وذوقا رفيعا وإحساسا عاليا وحزنا رقيقا حيث أنه أحيانا يحتاج إلى الحزن.

## فن السعادة :

السعادة خليط من الحب والرضا بكل شيء في الحياة ، والسعادة بالنسبة للمسلم تظهر فـي الصـلة القويـة بالله تعالى والرضا بما قسم ، وبذلك يصبر المسلم في حالة الضراء صبرا عاديا أو صبرا جميلا ، والصبر الجميل هو الذي يجعل الإنسان يحس بأن في هذه المصـيبة الخـير له وإن كـان لا يعلم وجه الخير ، وهو لذلك يشكر الله على نعمه وهو يـؤدي وظيفـته في هذه الحياة ، وبذلك يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية والهدوء القلبي ويكون سعيدا لأنه يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنما يموت غدا ، سعيد لأنه يحـس بأخوة المسلمين وبأنه في مجتمع متماسك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وسعيد لأن التعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي يكون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

## فن الشيخوخة :

تظهـر قيمة فن الشيخوخة في أن الإنسان يحتفظ بروح الشباب الدائم ، والرغبة في الفهـم والحـب بكل ما في القلب من حرارة ، والاعتقاد بأن الجمال والذكاء والشفقة تتحّد بحكم الطبيعة والاحتفاظ بالإيمان ، وفن بلوغ الشيخوخة يظهر في أن الإنسان يحس دائما بأنه صاحب رسالة يكافح الشرور وينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
والشيخوخة لها مصاعب ، ولكن فن الشيخوخة يقدر على التغلب على هذه المصاعب ويجعـل الحياة سعيدة ، وكل شيء يهدف إلى تفسير التغيير من رحلة الشباب إلى مرحلة الشيخوخة يعد من أعمال الحضارة .
وقـد استشـهد الصـحابي الجلـيل أبو أيوب الأنصاري ودفن جثمانه تحت أسوار

القسطنطينية وعمره ثمانون عاما ، ولا زال قبره يعرف بقبر الرجل الصالح ، وبذلك يمكن للشيخوخة أن تحقق الأعاجيب بفضل الصلة بالله تعالى والمران والمواصلة.

والحب في مرحلة الشيخوخة يكون فيه لقاء الصداقة ، والرجل الحكيم يشغل نفسه بما يفيده في حياته وفي مجتمعه ، وما يجعله يحقق وظيفته في هذه الحياة ، وقد يطغى على الحب شعور جميل من التفاني وإنكار الذات ، فيختفي سوء التفاهم الحسي والغيرة.

## فن الغناء :

كان الغناء العربي منتشرا في مكة ويثرب والطائف وخيبر ودواوين القرى والحقول وبريدة وحائل وبلاد اليمن وبلاد الغساسنة في الشام ، فلما جاء الإسلام شغل العرب بالقرآن الكريم وترتيله .

وحين تزوجت فتاة من الأنصار قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : أأهديتم الفتاة إلى بعلها ، قالت : نعم ، قال : أفغنيتم لها ؟ قالت : لا ، قال : أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ، ألا أتيتم من يقول :

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
ولولا الحنطة السمراء ... ما سمنت مواشيكم
ولولا الذهب الأصفر ... ما حلت بواديكم

## فن العمل :

العمل هو التعب في أداء مهمة ، وهو تحريك الأشياء أو المخلوقات بطرق تجعلها أكثر نفعا أو أكثر جمالا ، وهو أيضا دراسة القوانين التي تسيطر على تلك التحويلات من حيث رسم مناهجها والعمل على تنفيذها .

ولا بد في العمل من تخطيط سليم ونظام واضح وعمل مفيد ، وحياة الفن يجب أن تتكون من أجزاء ، جزء حسي عاطفي ، وجزء تفكيري وخيالي ، وجزء فني واقعي .

وفن الاستراحة جزء من فن العمل ، فالجهاز البشري لا يستطيع أن يعيش إلا بالتبادل بين العمل والراحة .

ومن عوامل الراحة أن يرحل الإنسان عن بلده حتى يستريح من المسؤولية ، والرجل المحب لعمله يعود إلى عمله وهو يشعر بالبهجة ، ثم إن العمل وقاية من الملل والرذيلة ، وهو علاج لكل الشرور .

## فن الاستطلاع :

يكشف لنا الحرص على اكتشاف كل ما هو جديد أو غير مألوف ، وهو وظيفة من وظائف الذات وقادر على الإنتاج أو على تبديد الطاقة تبعا للشخص الذي يمارسه .

## فن الرسوم الهندسية :

لما كان الإسلام يقوم على التوحيد وتنزيه الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١) ، فإن الفنان المسلم استعمل الرسوم الهندسية وأكثر من استعمالها ، وكرر الفنان نفسه وأقام التكرار بتوازن كامل، وجعل الفنان يخرج عن الحدود المادية – الصفحة أو الشيء – وذلك بتكرار الرسم نصفا أو ربعا أو خمسا فيحس الناظر بكمال الرسم فيما يلي الشيء وفي جميع الاتجاهات .

والناظر إلى الرسم الإسلامي يلاحظ تكراره بالتوازن في جميع الاتجاهات إلى ما لا نهاية ، والتكميل إلى ما لا نهاية مستحيل ، وهنا تعمد الصور المختلفة التي حركها الرسم إلى إكمال ما لا نهاية له معترفة بالعجز ، وهذا تصور مرئي وغير مرئي إلى ما لانهاية له ، فإدراكه ذلك هو إدراكه بصنعة الله تعالى ، وهذه النظرية تنطبق على جميع الفنون الإسلامية في كل إنتاج من إنتاجها.

## الخط :

الخط استعمل في تجميل العبارة من الداخل والخارج ، وفي تجميل الأثاث والسجاد والملابس والمباني على اختلاف أنواعها ، وفي الآلات كلها حتى المدافع ، وفي الكتب وذلك بجميع أنواع الخط .

## فن التزويق :

وفن التزويق فن إسلامي محض ، والمسلمون هم الذين رتبوا كل شئ من المطبخ إلى الحمام إلى الأثاث والحوانيت والمساجد والكتاب والفوانيس ، بل حتى الأحذية ، وهو رسم يقوم على أساس الخطوط المستقيمة أو المستديرة بأشكال الزهور والنبات، ويرسم على لوحة أو ينقش نقشا في حجر أو جبس أو خشب أو معدن بألوان أو بغير ألوان .

والهندسة المعمارية التي تظهر في المباني والمساجد نرى أن الأصول فيها واحدة – ولكن التعبير يختلف باختلاف الأقاليم – فقد ابتدعوا بذلك هندسة ارتاحت إليها نفوسهم وعاونتهم على تركيز فكرهم على وحدانية الله تعالى.

## النمنمة :

النمنمة فن الأرستقراطية ، وهي فن التصوير في صفحات الكتب بقصد مساعدة القارئ على تصور ما يقرأ ومساعدة مخيلته على تحويل ما أدركه عقله من القراءة إلى صور مرئية تزيد في ثروة المخيلة في حدود ما أقره ديننا الحنيف .

وقد استطاع الإسلام أن يغير الإحساس الجمالي عند المسلم في أي بلد من بلاد العالم

الإســـلامي – فجعـــل إحساسهم بالجمال واحدا – لأنه بني على أساس القرآن الكريم الذي أعطانا الجمال والدين معا ، وهو قائم على وحدانية الله وتنزيهه في أي صورة من صور الفن .

ولا يوجد دين أوحى بنسبة فنون ظهرت وانتشرت في جميع البلاد الإسلامية كما فعل الإســـلام ، فـــأخذ الفن الإسلامي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجـــود ، وذلـــك بالتعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور ، فالفن الإسلامي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق – فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمـــال – ومـــن هنا فإنهما يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود ، وبذلـــك ابتعد الفن الإسلامي عن الصور المشخصة التي يتميز بها الفن المسيحي والديني غير الإسلامي .

وقـــد تـــناول الفـــن الإسلامي بالتكوين المتناسق وحسن التركيب كثيرا من الآيات ، وأخـــرج بهـــا روائـــع الزخارف التي تكسو جدران القصور والجوامع ، وبذلك أصبحت شخصية الفن الإسلامي متميزة عن سائر الفنون الأخرى قديما وحديثا .

# خصائص الفن في الإسلام

الفــن الإسلامي فن أصيل متأثر بجوهر العقيدة الإسلامية ، يحدد الإيمان المطلق بالله الواحــد القهار الخالق المبدع المصور ، والإنسان في ظل العقيدة السمحة إنما يبحث عن الـــنجاة بالأعمـــال الصـالحة ، والسعي الدائب إلى الرزق الحلال ، وأنه خلال ذلك يشعر بضآلته بالنسبة لهذا الكون الرحب المعجز.

ومن خصائص الفن الإسلامي البعد عن الترف ، وتحويل الخسيس إلى نفيس ، ولذلك نشأت حلول ابتكاريه رائعة تحقق المبادئ التي نستشعرها في جوهر العقيدة للمواءمة بين هذه المبادئ وبين الداء الذي يعيش فيه الأمراء والتجار ، فابتكر الفنان العربي الخزف ذا البريق المعدني ، والمحراب يمثل مركز الأهمية في المسجد ، وكان المسلمون يستطيعون أن يصـــنعوه من الخشب أو الجص أو الصلصال المشوي ، وقد استطاع الفنان المسلم أن يجعــل هذه الخامات الرخيصة بما أسبغه عليها من زخارف دقيقة وألوان جميلة ومزاوجة بين الخامات إلى أعمال فنية .

ومن خصائص الفن الإسلامي كراهية تصوير الكائنات الحية ، وذلك لوجود أحاديث يفهــم مـــنها أن تصـــوير الكائـــنات الحية حرام ، وقد سار الفنان المسلم عند تنفيذ رسوم الكائـــنات الحـــية في هذا الطريق ، فهو يعبر عنها تعبيرا تجريديا ، لا يهتم فيه بمطابقتها للشـــكل الظاهـــري ، والتخليع الذي نشاهده في التصوير والنحت الإسلامي إنما هو سمة العصر الحديث الذي نعيشه في أعمال النحت والتصوير ، ومرده إلى الرغبة المتأصلة في الـــنفس العربـــية إلى تجريد صور الإنسان والحيوان من أشكالها الظاهرية والنفوذ إلى ما وراء ذلـــك لتحقيق قيم زخرفية ، والضوابط تحرم بعض الفنون التشكيلية لتحرر الإنسان مـــن الشك ، وتحرم الفنون التي يصاحبها المجون والتحلل من الموسيقى والأغاني وعدم ضياع الوقت فيما لا يفيد .

ومـــن خصـــائص الفن الإسلامي الانصراف عن التجسيم ، والانصراف عن التجسيم دفـــع الفنان المسلم إلى أن يغطي تماثيله وصوره الأدبية والحيوانية بشبكة من الزخارف ، التي من شأنها أن تمتص مادة الجسم وتحولها إلى وحدات زخرفية تبعث المسرة وتخرجها عن طبيعتها الآدمية والحيوانية ، فذيل الحيوان وجناح الطائر يتحول بقدرة ابتكاريه رائعة إلـــى فرع نباتي انبثق في أوراقه المجردة ، والتوجيهات التي جاء بها القرآن الكريم لرؤية عظمـــة الخالق وإبداعه في جمال مخلوقاته لترقيق المشاعر وترهيف الحس تجعل الحياة نفسها والبعد عن واقع الحياة تعبيرا فنيا جماليا .

## العناصر الزخرفية الإسلامية :

اتجه الفنان المسلم إلى استعمال كل وسائل الزخرفة والزينة فيما أنتجه من تحف وما شيده من عمائر معتمدا على عناصر نباتية وهندسية وخطية وآدمية وحيوانية ، وكثيرا ما

زاوج بين هذه العناصر ، أو جعل الزخارف النباتية أرضية للنصوص الخطية ، أو حشوات بالزخارف الهندسية.

## ومن أهم العناصر الزخرفية الإسلامية :

١- **العناصر الزخرفية الهندسية:** ومن أهمها زخارف الأطباق وهي زخارف متعددة الأضلاع تركب بعضها إلى جوار بعض بحيث يتألف منها شبه طبق في وسطه شكل نحاسي ، ومما ساعد على ذلك الدراسة بالهندسة العلمية والنظرية ، وكان لتلك الرسوم أصول أولها تقسيم الدائرة إلى أجزاء متساوية ، ثم توصيل النقط بعضها ببعض للوصول إلى الأشكال الهندسية .

٢- **العناصر الزخرفية النباتية:** وقد أغرم المسلمون بالزخارف النباتية المجردة بحيث لا تبقى الساق والأوراق إلا خطوط منحنية يطلق عليها الأرابسك ، وقوام الأرابسك خطوط منحنية أو مستديرة أو ملتصقة يتصل بعضها ببعض فتكون أشكالا حدودها منحنية ، إلى جانب رسوم نباتية أخرى تتكون من فروع نباتية وزهور ووريقات ولا تؤلف في مجموعها رسما يمكن تسميته أرابسك .

٣- **العناصر الزخرفية الخطية:** وقد عمد الفنانون المسلمون إلى سيقان الحروف فزينوها بالزخارف النباتية ، ووصلوا بين بعض خطوطها وبعضها الآخر بخطوط كانت في بعض الأحيان مجدولة ، وعمدوا أحيانا أخرى إلى كتابة الحروف المزخرفة الجميلة على أرضية من زخارف نباتية أخرى .

٤- **العناصر الزخرفية من الكائنات الحية:** استعمل المسلمون رسوم الحيوانات في زخارفهم استعمالا واسعا حتى بدا أنهم لم يعتقدوا أنها داخلة في نطاق الكراهية .

كما استعمل المسلمون في زخارفهم رسوم الأسد والفهد والأرنب والطيور بأنواعها ، وربما رسموها على فروع نباتية ، كما استعمل المسلمون رسوم حيوانات منها رسم الفرس ذا الوجه الآدمي ، كما أنتج الفنانون المسلمون أواني معدنية على شكل حيوانات .

## الطرز الفنية الإسلامية:

تتميز الفنون الإسلامية بأن هناك وحدة عامة تجمعها بحيث تتميز عن غيرها ، وهذا سر من أسرار الفنون في الحضارة الإسلامية وقدرتها الفائقة على صنع المنتجات الفنية في جميع الأفكار والأقطار بصيغة واحدة ، إلى جانب طرز أخرى متنوعة تختلف باختلاف الزمان والمكان .

ومنها الطراز الأموي الذي يظهر في الجامع الأموي بدمشق ، فهو من أبدع الأمثلة للعمارة أنشأه " **الوليد بن عبد الملك** " ، وجامع القيروان ، وجامع قرطبة الذي بني على مثال الجامع الأموي بدمشق ، ومنها مسجد قبة الصخرة ، وقصر المشتى ، ومنها الطراز العباسي ، ومدينة سامراء وآثارها التي عثر عليها وهي تعتبر نموذجا للطراز العباسي ، ومن أمثلته جامع سامراء بالعراق ، وجامع أحمد ابن طولون بالقاهرة ، ويمتاز هذا

الطـراز بتغطـية الجـدران بالجص المزخرف بزخارف متعددة الأشكال بدت قريبة من الطبيعة .

وقـد أنـتج في العصر العباسي الزخرف ذو البريق المعدني وانتشر في العراق وفي مصر وغيرهم ، لما كان يمتاز به من جمال يجعله صالحا لاستعماله استعمالا واسعا .

ومـنها الطـراز المغربي ، وهو من أبدع العمائر التي خلقها لنا هذا الطراز ( **قصر الحمـراء** ) بغـرناطة الذي يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، ويمتاز بجمال مبناه ورشـاقة أعمدته ذات التيجان المزخرفة والجدران المغطاة بشبكة من الزخارف الجصية والكتابات الجميلة .

ومـنها تجلـيد الكتـب وصناعة التحف الجلدية ، وقد انتشرت صناعة الخزف ذات البريق المعدني في غرناطة واستخدمت في زخارف الحيوانات الطيور المختلفة .

ومـنها الطـراز المصـري السوري ، وقد امتاز هذا الطراز بكثرة رسوم الإنسان والحـيوان والطـيور وبعض الفروع النباتية ولا سيما الورقة التي تسمى الورقة الفاطمية لكـثرة ظهورهـا فـي المنتوجات الفنية ، وانتشرت في هذه الصناعة الخزف ذو البريق المعدنـي ، ويمتاز هذا الطراز بالتحف المصنوعة من البلور الصخري وبخاصة الأباريق ذات الشكل الكمثري المملوكي مثل الثرايات المعدنية والأماكن المصنوعة من الزجاج .

ومـنها الطراز الأيوبي ، وقد امتاز هذا الطراز بالعمائر الحربية كالقلعة ، وقد أبدع الفنانون في الزخارف الهندسية كقبة مسجد الإمام الشافعي .

وقـد أصـبحت مصـر مـتحفا ضـخما للمساجد التي استعمل فيها الرخام الملون والفسيفسـاء والمـآذن العالـية الرشيقة ، ومن أشهرها مسجد ومدرسة السلطان حسن ، ومجموعة قلاوون ، وجامع الظاهر بيبرس والمؤيد .

ومنها الطراز التركي ، وأكثر ما امتاز به التحف المزخرفة وبلاطات القاشاني ، وقد امـتاز هـذا الخـزف برسوم الزهور والنباتات الطبيعية ، واشتهر أيضا بنسيج القطيفة ، ونالت كتابة المصاحف وتذهيبها شهرة كبيرة .

كمـا تمـتاز مساجد هذا الطراز بمآذنها الممشوقة المتعددة ، وبتصميمها الذي يشبه مسـجد آيـا صوفيا الذي يتكون من مربع كبير تعلوه قبة عظيمة يحيط بها أنصاف قباب صـغيرة ، ومن أمثلته مسجد السليمانية ، والسلطان أحمد باستامبول ، وجامع محمد على بالقاهرة .

ومـنها الطـراز الهـندي ، ويمتاز هذا الطراز بالعمائر الهندية ، وباستخدام العقود الفارسـية ، والمـآذن الأسـطوانية ، والـزخارف التي تتميز بهدوء الألوان والقرب من الطبيعة ، ورسم الصور الشخصية .

## العناصر المعمارية الإسلامية :

وتتمثل في المآذن التي تفنن الفنانون في أشكالها ودوراتها حتى أخذت أشكالا مختلفة، وأصبح لكل مسجد طراز خاص من المآذن ينسب إليه .

ومـــنها النباتات ، وتعتبر القاهرة متحفا ضخما للنباتات التي توضع أحيانا فوق مدخل رواق القبلة أو فوق الأضرحة .
ومـــنها الأعمـــدة التي أبدع المسلمون فيها ، فمنها الأسطواني الشكل ومنها المثمن ، وفي الأندلس ابتكر الفنانون عمودا له تاج أسطواني تعلوه كتلة مزخرفة بأشكال متناسقة .
ومـــنها التصوير الإسلامي ، حيث اتجه الفنانون إلى غير العناصر الحيوانية والنباتية والآدمية ، وروعي في زخارف المساجد والمصاحف استبعاد الكائنات الحية ، والتصوير في الإسلام لم يتعرض للموضوعات الدينية .
وزادت أهمـــية الخطاطيـــن واتبع الفنانون المسلمون أساليب خاصة للرسم ، فتعددت المـــدارس الفنـــية فهـــناك مدرســـة بغـــداد ، والمدرسة المغولية ، والمدرسة التيمورية ، والمدرسة الصفوية ، والمدرسة التركية ، والمدرسة الهندية .

# عصر النهضة

فـــي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي تميزت أعمال الفنانين المسلمين بالـــرؤية المـــتحررة إلى الطبيعة ، فقد أدخلوا إلى جانب الموضوعات الدينية موضوعات جديـــدة من المناظر الطبيعية ومشاهد الحياة اليومية في المدن والريف ، وأصبح العالم كله مجـــالا للفنانين ، وقد تمتع الفنانون بحرية واسعة في هذا العصر ، وظهرت ألوان متعددة مـــن فـــن العمـــارة وفن النحت وفن التصوير بأنواعه المختلفة [ **الفرنسي ، والأسباني ، والإنجليزي** ] .

## الحركة الفنية الحديثة :

تعـــددت الفـــنون الحديـــثة فمنها الكلاسيكية الحديثة التي تقوم على الخطوط المحكمة الألـــوان الرصينة القاتمة ، والموضوع الخالي من العواطف والبدع ، ومنها الرومانتيكية الدرامية المبالغة في الحركات وإبراز الضعف والقوة للوصول إلى الإثارة الكاملة ، ومنها الواقعية التي تعالج مشكلات المجتمع وتعبر عن حياة الفقراء المظلومين ، ومنها التأثيرية التي تمتاز بالثورة الطاغية في استعمال الألوان التي أطلقوها من عقالها .
وهكذا نرى أن الإسلام قد استطاع أن يغير الإحساس الفني عند المسلم في كل بلد من بلـــدان العـــالم الإســـلامي ، فجعل الإحساس الفني واحدا لأنه بني على أساس من القرآن الكريم الذي أعطانا الفن والدين معا ، وذلك بالتعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان .
فالفن الإسلامي هو الذي هيأ اللقاء الكامل بين الجمال والحق في هذا الكون ، والحق هـــو ذروة هـــذا الفـــن ، وبذلك ابتعد عن الصور المشخصة التي تميزت بها الفنون غير الإســـلامية ، وأصـــبح للفـــن الإسلامي شخصيته المتميزة عن سائر الفنون الأخرى قديما وحديثا.

## مفهوم الجمال :

الجمال تعبير يقصد به كل ما يبعث في النفس السرور والرضا ، ويجعل الإنسان مرهف الحس رقيق الوجدان مهذب الانفعالات قوي الإرادة متحمسا للعمل المنتج ، والجمال حقيقة كونية مركبة في مداخلها وعناصرها وتأثيراتها المادية والروحية وتوجيهاتها الظاهرة والخفية .

والإنسان يحس بالجمال الحسي والجمال المعنوي إحساسا فطريا ، وارتباط العقيدة بالجمال يعتمد على إحساس الإنسان بهذا الجمال ، وبذلك يؤدي الإحساس بالجمال دوره الخطير في حياة الإنسان .

والجمال في الإسلام مدخل إلى ارتقاء الروح والذوق وسمو النفس البشرية وخلاصها من التردي والسقوط ، والجمال عنصر من عناصر الإيمان ، والقيم الجمالية تغرس في صاحبها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه ويجعله وسيلة للسعادة والخير في الحياة .

وعنصر الجمال يبدو مقصودا في تصميم هذا الكون وتنسيقه ، ومن كمال هذا الجمال أن وظائف هذه الأشياء تؤدى عن طريق جمالها ، فهذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح ، ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح لتنشئ الثمار ، وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها ، والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر إليه لأداء وظيفته التي يقوم بها الجنسان .

## الجمال في الرؤية الإسلامية :

الجمال روح سامية للوجود كله ، تجعل المجتمع يحس بالجمال المعنوي الذي يتمثل في القيم الأخلاقية الفاضلة ، يقول النبي ﷺ ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال النبي ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس ) رواه مسلم .

والجمال الحسي يجب أن يتسق مع الجمال الباطني حتى يحبه الله تعالى ، يقول الله تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف:٣١) ، أما الجمال الظاهري وحده فغير مقبول ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص:٧٩) ، والجمال خلقه الله تعالى للحواس لتستمتع به ، وإشاعة هذا كله يمتزج بالحق امتزاجا لا انفكاك له وتنبثق عنه المنفعة والخير .

وهكذا يمتزج خلق الله تعالى بالحق الذي خلقه ، والجمال بتلك الروح السامية فيه والخير الذي يكمن فيه ، وإذا امتزج الجمال والخير في الوسيلة من الوسائل في نظر الناس فإن الإسلام يتجاوزه إلى الخير ، فجمال المرأة مثلا وحده لا يكون مسوغا لنكاحها.

والجمال ينبع من قوة مبدعة قادرة خلقت فأحسنت ، وصنعت فخلبت الألباب

والأبصـــار وأثـــارت الفكـــر والتأمل وفتحت أبواب الإيمان واليقين بهذه القدرة المعجزة الخارقة، والجمال في الإسلام مدخل إلى ارتقاء الروح والذوق وسمو النفس وخلاصها من الـــتردي والسقوط – وهو محرك للفكر كي يحول إلى ما هو أبعد من المظاهر الحسية – فالجمال سبب من أسباب الإيمان وعنصر من عناصره .

## الإنسان والجمال :

في الإنسان حاسة في باطن النفس تحس بالجمال وتستجيب له ، وقد يتدخل الذهن في تقويم الجمال ووضع مقاييس له .

ومـــن مظاهـــر الجمـــال الدقة والتناسق والتوازن والترابط ، والجمال نظام يقتضي موازنة الكيان البشري كله في داخل النفس وفي واقع الحياة .

والفـــنون الجســـدية التي يركز عليها الغرب تفسد الجمال الأكبر في حياة الإنسان ، والجمـــال الأكبر مستمد من ناموس الكون ، والإسلام وحده يجمع جمال الشعائر والآداب والأخـــلاق والتشـــريعات والنظم في نطاق العقيدة ، ولكنها تتناسق في اتجاه واحد وبذلك يقوم الكيان العام لدين الإسلام .

ويلاحظ أن في الإنسان حاسة في باطن النفس تفطن للجمال وتحس به وتستجيب له ، وقـــد يـــتدخل الذهن في تقويم الجمال ووضع مقاييس له ، وحين يحدث ذلك يستمدها في الحقيقة من البداهة اللطيفة التي تدرك الجمال لأول وهلة .

ومـــن المعجزات العجيبة في خلق الله تعالى أن الله تعالى يهب له هذه المواهب الفذة التـــي تـــتجاذب مع روح الكون العميقة ، لمحة واحدة فإذا بالجمال منطبع في الحس وإذا بالنفس تتحرك لاستقباله في فرح وسرور ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

والجمال عنصر زائد عن الضرورة وله مظاهر متعددة فيها الدقة والتناسق والترابط وخفة الحركة والتوازن ، فالتوازن هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض ، والترابط يمســـك الأجرام بعضها ببعض ، وحياة الإنسان لا تكون جميلة إلا إذا كانت نظاما طليقا ، والفوضى ليست جمالا .

والجمـــال نظام يقتضي موازنة الكيان البشري كله في داخل النفس وفي واقع الحياة ، نظـــام تـــراعى فـــيه ومعه حقيقة المجتمع وحقيقة النفس المفردة فلا تختل هذه ولا تلك ، لا تخـــتل حقـــيقة المجتمع بإطلاق الشهوات الباحثة عن جمال الجسد وجمال الجنس ؛ ولا تخـــتل حقـــيقة الـــنفس فتصبح مستعدة للشهوات ، والقرآن الكريم ينبه إلى ذلك في قوله تعـــالى :﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (آل عمران:١٣٧) .

فـــي هذه الدائرة المتمثلة في النظام والطلاقة والأخلاق يبيح الإسلام الإحساس بجمال الجســـد وجمـــال الجـــنس ؛ بشـــرط ألا يشغل ذلك الإنسان عن الحياة المثمرة ، وتحقيق الأهداف العليا من الحياة يتيح المتعة الجنسية في حدودها المشروعة .

## ألوان من الجمال :

١- الجمال الحسي : يبعث في النفس الإنسانية النشوة ، وله أنواع مختلفة منها ما نراه في الطبـيعة من جهة الألوان والأصوات والأشكال ، مثل جمال السماء وكواكبها ، والأرض فـيها النخـيل والزروع المختلفة ألوانها ، والأنعام فيها جمال حين تروح وحين تسرح ، والطيور ذات الأصوات المتناغمة فيها جمال ، وكل هذا من ألوان الجمال الحسي .
٢- الجمـال النفســي : أول درجــة في الجمال النفسي صفاء النفس واستمتاعها بالتأمل الهادئ ، فإذا صفت النفس صارت قابلة للاستمتاع بالجمال ؛ لأن الصفاء والجمال يمثلان الحـركة الحـية فـي الحياة ، وهناك جمال في التعامل مع الزوجات ، وهناك جمال في الآداب ، وهناك جمال التفاؤل وهكذا.

ومـن ألـوان الجمال النفسي في الإسلام الصبر الجميل ؛ الذي يعتقد الإنسان فيه أن المصـيبة التي أصابته فيها الخير كله ، وإن كان لا يعلم وجه الخير ، كما حدث ليعقوب عليه السلام حين عاد أبناؤه بدون يوسف ، وقالوا إن الذئب قد أكله ، فلم يصدقهم ، ولكنه قال ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ (يوسف:١٨) .

وحين عاد أبناؤه بعد ذلك من مصر بدون ابنه الثاني ، وقالوا لأبيهم إن ابنك سرق ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا منها ، فقال فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا .

ومنها الصفح الجميل الذي يظهر في العفو عمن أساء ومعاملته معاملة طيبة ، ومنها السراح الجميل الذي يظهر في إعطاء الزوجة المطلقة حقوقها كاملة وأكثر ، ومنها الهجر الجميل الذي يظهر في عدم إظهار الغضب مع المعاملة الطيبة .

## الجمال في الحضارة الغربية

مفهوم الحضارة الغربية للجمال يجعله قاصرا على جمال المرأة الحسي ويركز عليه، وهـذا التصور قائم على مادية الإنسان وإنكار الروح ، وقد تسبب عن ذلك ابتذال المرأة والحـط مـن كرامـتها ؛ حتى أصبحت تجارة رابحة يعمل الناس على الكسب منها بكل الطـرق الممكـنة ، وقد أصبحت السينما والمسلسلات التلفازية والصحافة وغيرها تصور المرأة وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجال ، ولذلك اختفت صورة المرأة المكافحة التي تعيش فـي ظـل المعاناة الأسرية ، وأصبح لها الحق في ممارسة كل أنواع السلوك الجنسي في حـرية تامة ، وإلا فهي الضحية المظلومة المحرومة من حقوقها الإنسانية ، وباسم الحب الـذي تنشـره وسائل الإعلام المختلفة انتشر انحراف النساء ، وتحول الوهم والزيف إلى واقـع يجـب أن يسود المجتمعات كلها لا المجتمعات الغربية فحسب ، بل وأصبح أبطال الشاشـة هـم القدوة والمثل العليا للشباب ، وهكذا ينبغي أن ننبه إلى ذلك ، وأن نعود إلى ثقافتـنا وإلـى مفهـوم الجمال الذي نأخذه من الكتاب والسنة ؛ بحيث يشمل كل شئ في الحياة ، وبحيث يعين المسلم على أداء رسالته في هذه الحياة.

# فن الإبداع

الإبداع في اللغة : هو إحداث شيء جديد على غير مثال سابق ، وهو تعبير يقصد به القدرة على عمل شيء جديد ومبتكر وإخراجه إلى حيز الوجود .

والإبـداع فـي الفـن والأدب معناه : الخروج عن أساليب القدماء باستخدام أساليب جديدة، وقد وردت كلمة الإبداع في القرآن الكريم في أربع آيات منها قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (البقرة:١١٧)، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق .

ويمثل الإبداع إطلاق طاقات الابتكار دون قيد على العقل في حدود المنهج الإسلامي، إلـى الحـد الـذي ينال المجتهد فيه أجرا حتى ولو أخطأ ؛ مادام ملتزما بإطار الأخلاق الإسـلامية الـذي لا يحكمه الهوى ، إنما يحكمه الضمير الذي يدرك مسؤليته عن الإبداع بطريقة تؤكد طاقات الإبداع .

والإبـداع ظاهـرة عامة يمكن أن توجد في المجتمعات الإنسانية كلها ، وفي مختلف مـراحل التطور الاجتماعي والثقافي والعمل الإبداعي يتجاوز التجربة الإنسانية العادية ، ويدخل عليها الكثير من عناصر التحوير والتعديل ، التي قد تؤدي في النهاية إلى تغييرها تغيـيرا شـاملا ، بحيـث تـتعارض مع الأوضاع التقليدية ، والإبداع لن يحقق رسالته الصـحيحة إلا إذا تمكـن من توصيل التجربة الإبداعية بكل إنجازاتها إلى الآخرين حتى يحصل على تقبل المجتمع لعمله الإبداعي .

والعملـية الإبداعـية يقصد بها العملية الذهنية التي يمكن عن طريقها تصور العمل الإبداعي وحده كلية قبل الشروع في إنجازه ، وهي في حقيقتها أقرب إلى الحوار المتبادل بين الأوضاع الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع ، والتكوين النفسي والوجداني للفرد والمجتمع .

والإبداع يحتاج إلى الشعور والإحساس والحرية والانطلاق وعدم الكبت أو الرضوخ لأي نوع من القهر – بما في ذلك القهر السياسي – الذي يقضي في كثير من الأحيان على الحرية والإبداع وإلى اختفاء أو انزواء كل الحركات الإبداعية .

والمـبدع فـي العلـم أو الفـن هـو الشخص القادر على إدراك الروابط الخفية بين الأشياء .

ترى ما الدوافع إلى الاهتمام بالإبداع ؟

إن الدوافع تتلخص في الآتي :

١- مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

٢- محاولة القضاء على الملل الناشئ عن الحضارة الحديثة .

٣- الحاجة إلى حلول إبداعية للصراعات الدولية .

والمـبدع المسلم يلتزم التزاما داخليا بالأخلاق الإسلامية – فهو متصل بالله تعالى – وهو لا يبتغي إلا إرضاء الله تعالى ، ولذلك يحافظ على أخلاقه وعلى أخلاق المجتمع في

الوقت الذي يكتب فيه أو يرسم أو يفكر لأنه ملتزم بالقيم الإسلامية ، وحرية الإبداع في الإسلام لها ضوابط ويمكن لأي مسلم أن يقول ما يريد وأن يعمل ما يريد مادام ملتزما بالضوابط الشرعية ، ومن هنا فإننا نجد أن الإسلام قد شجع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى في الطبيعة من جمال السماء والأرض ، وقد زين السماء بزينة الكواكب ، وجعل الأرض بما خلق فيها من كل زوج بهيج ، من الزهور الجميلة المختلفة ، والحيوانات والطيور الجميلة المتنوعة ، ثم دعا الإنسان إلى أن يكون جميلا في مظهره وفي مخبره ؛ لأن الله جميل يحب الجمال ويسعد به .

ولذلك فإن مجالات الإبداع الإسلامي هي كل مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المفعمة بالإيمان والتصور الإسلامي للكون . ولحياة الإنسان سجل حافل بالإبداع عرفته البشرية ، يأخذ الوجود كله بماديته وروحانياته ومعنوياته وكل إمكاناته .

والإسلام يوقع على الحس البشري توقيعات شتى تهز الوجدان من أعماقه في توجيه القلب البشري إلى آيات الله تعالى في صفحة الكون .

والإسلام وهو يربي الروح يعمد إليها فيثير فيها الحياة يقول الله تعالى: ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢) .

ثم يوجه القلب البشري إلى قدرة الله تعالى القاهرة فيقول: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (البقرة:١١٧) ، ويقول تعالى: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (الأنعام:١٠١) .

ثم يوجه القلب البشري إلى علم الله الشامل فيقول : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ (الأنعام:٥٩).

## دعائم الإبداع :

وللإبداع الحقيقي الذي يمكنه أن يحقق وظيفة هذه الحياة دعائم أهمها :

**أولا** : الأصالة ، فالمبدع لابد وأن يكون ذا فكر أصيل ، وهذه الدعامة تتجلى في ميل بعض الأشخاص إلى التجديد ، ومن ذلك استخدام بعض الشعراء لتشبيهات جديدة ، وابتعادهم عن التشبيهات الشائعة في المجتمع ، كما تتجلى في استخدام بعض المصورين للألوان في علاقات جديدة ، وفي استخدام بعض العلماء أساليب جديدة في تجاربهم وتحليلاتهم .

**ثانيا** : الطلاقة ، ويقصد بالطلاقة القدرة على إنتاج أكبر عدد من الأفكار الإبداعية مع سرعة التفكير السليم والتطبيق السريع للكلمات مثلا والقدرة على وضع الكلمات في

أكبر قدر ممكن من الجمل والعبارات ذات المعنى المفيد والمثير في الوقت نفسه.

**ثالثا** : المرونة ، يقصد بالمرونة الإشارة إلى القدرة على تغيير الحالة الذهنية بتغيير الموقف ، ومظهر ذلك قدرة الشخص على أن يعطي – تلقائيا – عددا متنوعا من الاستجابات التي لا تنتمي إلى مظهر واحد ، والمرونة التلقائية هي التي يمكن تحديدها لدى الفنانين والأدباء المبدعين .

والمبدع يتميز بالحساسية ، فهو يرقب الأشياء التي لا يرى فيها غيره كالألوان ، ويلمس الأشياء واستجابات الآخرين ، وبذلك تصبح المرونة وظيفة متخصصة في ألوان النشاط وأنواعه ، ويمكن عن طريقها أن نغير من وجهة نظرنا إلى أمر من الأمور أو مشكلة من المشكلات .

**رابعا** : التقويم ، والتقويم هو الذي نحكم – عن طريقها– الأشياء والموضوع من حيث ملاءمته ؛ لأنه يوضع على أشياء أخرى أو يدخل في سياق معين كالشاعر والمصور والمعلم والفيلسوف .

## مجالات الإبداع :

والإبداع يشمل كل مجالات الحياة ، فالإبداع في السياسة يعني التغيير الوفيد في توزيع السلطة في المجتمع ، والتغيير في عقول الناس وأفكارهم فيما يتضمن وسائل معاشهم ، والتغيير في أذواق الناس ووجدانهم وعواطفهم ، والتغير في سلوك الناس بحيث يكون سلوكهم أفضل ومتمشيا مع قيم المجتمع وأخلاقه ، والإبداع – بكل صوره – يختلف من مجتمع إلى مجتمع .

والإبداع في العلوم الاجتماعية هو تقدم علمي بحثي يقوم بإسهام جوهري في إثراء الرصيد المعفي لأي تخصص من التخصصات ، ويتحقق الإبداع في العلوم الاجتماعية بطرح بعض الفروض الهامة ، وتحسين منهجية بعض النظريات ، أو الغوص في الكشف عن خبايا بعض البحوث القديمة المهملة في عمليات هامة رئيسية بالنسبة لمسيرة المشاريع العلمية في هذه العلوم .

وبذلك يأتي الإبداع من تلاحق العلوم لا من انعزالها ولا من الإفراط في التخصص المتوقع ، فخروج عالم الاقتصاد أو عالم النفس من مجال تخصصه بشيء ما ، واحتكاكه على الهامش بتخصصات أخرى مجاورة يرشحه للإبداع في دنيا الأفكار والمعارف في علوم الإنسان والمجتمع.

والإبداع الإسلامي يستوعب كل ما في الحياة ، وفن التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة ، بحيث لا يزيف حقيقة ولا يخلق وهما فاسدا ولا يحابي ضلالا ولا يزين نفاقا ، بل إنه يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم ؛ لأن له وظيفة في هذه الحياة هي تحقيق وظيفة المسلم طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى ، ومن ثم فإنه ينهض بعزائم المستضعفين ، وينصر قضايا المظلومين ، ويبشر بالخير والحق والجمال .

ومن هنا فإن الإبداع في الإسلام لا يكون عبثا ، بل إنه إبداع الضمير الحي

والوجدان السليم والتطور الصحيح والخيال البناء والعواطف المستقيمة ، فهو لا يتجه إلى انحراف نفسي ولا إلى اعتلال شعوري ولا إلى مرض فلسفي ، وما إلى ذلك مما نراه في الحضارة الغربية الحديثة ، وهو يقوم أيضا على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة ، وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية في جميع المجالات ، والمبدع المسلم لا يكون فيه الخلل الداخلي ولا الخلط الأهوج بين الوسائل والغايات ، ولا يكمن فيه سوء النية ولا العداء لكل شيء في الحياة ، الأمر الذي جعل الغرب يعيش في ظله بسبب الخواء الروحي الذي دفعه إلى التهكم من القيم النبيلة وأفكار العقيدة الدينية ، ذلك لأن المسلم المبدع مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم والمنهج الإلهي ، إلى جانب الالتزام الداخلي الذاتي الذي يعد الوجه الآخر للصدق .

والالتزام في الإبداع معناه : القناعة الإيمانية والسلوك المطابق لكل ما يتعلق بها ، والالتزام بذلك التزاما داخليا وخارجيا في وقت واحد ، وذلك يكون في إطار المسئولية الإيمانية ، فالميزان من صنع الله تعالى .

والمبدع المسلم خاضع لحساب الضمير ، وحساب المجتمع في الدنيا ، وخاضع لحساب الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وحريته تكون في إطار المنهج الإلهي .

والإبداع في المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية ، وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يدركه .

والمبدع المسلم يعيش عقيدة وفكرا وسلوكا من نوع خاص ، وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية ، ويؤثر في قدراته الإبداعية .

## الإبداع والفكر :

والإسلام دعا إلى إعمال العقل والتفكير ، والنصوص القرآنية تحث على التفكير والتدبر ، ففي ذلك آيات لقوم يتفكرون وعبرة لأولي الألباب وأصحاب العقول المتدبرة والمتفكرة ، يقول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ (العنكبوت:١٩) ، ويقول تعالى : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (العنكبوت:٢٠) .

وقد عاب القرآن الكريم على أقوام لم يفكروا ولم يفقهوا – ووصفهم بأنهم كالأنعام – بل هم أضل لأنهم لم يوظفوا حواس التفكير والتدبر ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (لأعراف:١٧٩) .

فالإسلام دعا إلى الفكر والتدبر وهو الذي قال الله فيه : ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (النمل:٦٤) .

والفكر في الإسلام مطلق بلا حدود ، ولكن على ألا يتعدى المفكر بفكره والمبدع بإبداعه الثوابت التي جاءت ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولا يمكن للمبدع

المسـلم أن يقـول " أنه لا علاقة للدين بالإبداع " أو يزعم " أن الدين لا علاقة له بالفن "، ذلك لأن الدين الإسلامي جزء من كيان الإنسان ، بل إن الإنسان الذي لا دين له ما هو إلا حـيوان ، ولا يمكـن للحيوان أن يبدع أو يفكر ؛ لأن الإبداع الفكري والإبداع الفني صفة مـن صـفات الإنسان الذي يحس بوظيفته في هذه الحياة ، ولذلك فإن رسم صورة لامرأة عاريـة لا يمكـن أن يسمى في الإسلام إبداعا ، وكذلك القصيدة التي تدعو إلى الخلاعة الجنسـية ، وهكـذا كل ما يمس حياة الناس وأخلاقهم ، أو يسئ إلى أذواق الناس وقيمهم ودينهم وأخلاقهم فكل ذلك يسمى قبحا ولا يسمى إبداعا وفنا .

ولأن الإبداع الحقيقي يشمل كل ما يخدم الإنسانية من اختراعات وابتكارات ولا يصح أن تـتحول حرية الإبداع إلى عوامل لإفساد الأخلاق والقيم والمجتمع ؛ فإن الإسلام وضع ضـوابط لحرية الإبداع ، فقد زكى الكلمة الطيبة وجعلها صدقة يتصدق بها الإنسان ، ذلك لأن النبـي ﷺ جـاء ليتمم مكارم الأخلاق ، وبذلك يتمكن المسلم من أداء وظيفته في هذه الحـياة فـي عمارة الأرض ، وفي عبادة الله بالمعنى الشامل للعبادة ، ولذلك لا يوجد في الإسلام رذيلة ، ولا يوجد انحلال أو انحراف ، أو تفسخ مشروع .

والحرية في الإسلام لها ضوابط ، ويمكن لأي مسلم أن يفعل ما يريد ، وأن يقول ما يـريد مـا دام ملتزما بضوابط الإسلام ، ومن هنا فإننا نجد الإسلام قد شجع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى في الطبيعة من جمال السماء والأرض ، ولذلك فلا بد أن تضع الحكومات الإسلامية أجهزة للإشراف على الفكر الفاسد الذي يضر بعقول الناس تحت اسم الإبـداع ، فالكلمة الملوثة أخطر على الإنسان من الأدوية الفاسدة ؛ لأنها تعم الناس جميعا وتأثيرها أكبر وأخطر .

## الإبداع في الغرب :

الإبـداع في الغرب لا حدود له ، والحرية لما يسمونه المبدع شاملة وكاملة ، وتحت قشـرة المسيحية الرقيقة ظلت في شعور الأوربيين تلك النظرة الإغريقية إلى الله تعالى ، فالعلاقـة الإغريقية بين الله تعالى وبين البشر هي العلاقة القائمة على السرقة والاغتصاب والصراع والانتقام والوحشية والعنف .

يقول بعض كتاب الغرب : إن حرية الإبداع هي القدرة على اقتحام المحرمات الثلاث الديـن والسياسـة والجنس فهي المجال الحيوي الذي يتحرك فيه الإبداع ، ومعنى هذا أن حرية الفنان في الإبداع هي التي تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والحرمات ، بل وإهانة المقدسات ، والاستهانة برموز الدين ، وتجريد كل ذلك من الأخلاق الفاضلة .

وهـذه الـنظرة أدخلت في بيوت بعض المسلمين كل معاني الفحش والرذيلة بدعوى الضـرورة الفنية وحل مشكلات المجتمع ، والناقد الفني (جان كلير) يؤكد أنه منذ الحرب العالمـية الثانية حدثت تحولات جذرية في المجال الفني ؛ حيث تدفق سيل من الاتجاهات الغربية المبتذلة ، ومحاولات الهدم الفني ، والرغبة في التدمير ، وذلك الطموح الذي لفت الأنظـار اعتمادا على التخويف والتزييف ، ومن الأمثلة : فن الطبيعة والشراسة ، والفن

الــنظري البدائــي اللاشــكلي الكهربائي ، إلى أكثر من مائتي تصنيف للفن الحديث لهذه المسميات التي داهمت المجتمعات في هذا العصر ، ثم يقول : إن هذه المسميات تتم عادة عن عمليات تزييف واسعة للواقع ، وتزييف للكلمات والأفكار بهدف إخفاء اللعبة المستترة التي كانت تتم خفية .

وفــي الغرب يدخلون إلى عالم الإبداع مجردين من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة ، ويجعلون ذلك غايتهم ، وذلك مقبول عندهم بكل صوره .

## سم ودسم :

وقد استطاع الغرب أن يدخل خطرين إلى فكرنا الأدبي الإسلامي :

الأول : أنه أعطى كاتب القصة التاريخية حرية التصرف في الواقع بما يتفق مع هواه .

الثاني : أنه أعطى الحرية في اقتحام المحرمات تحت اسم الإبداع .

وهــذا يفتح الطريق أمام إشاعة الفاحشة ، ومن هذا المنطلق ظهر المذهب الوجودي لــ "**سارتر**" والمذهب السريالي الذي يهدف إلى هدم جميع الحركات الذاتية النفسية ، ومن أهدافــه الأساســية هدم كل معتقد وهو لذلك يخضع لسلطة فرويد في إعلاء الجنس وفي تفسير كل شئ به حتى رضاعة الطفل من ثدي أمه .

وهــناك دعوى هدامة ترمي إلى تحطيم النظام الاجتماعي ، وتوهين العزائم في كل مكــان ، وإحياء النزوات ، ومن ذلك المذهب العبثي الذي يدعو إلى التحرر من قيود أي مســلك أخلاقــي ، ومذهــب الدادية الذي يدعو إلى تدمير منابع الفكر واللغة معا ، وهذه المذاهب تركز على حرب اللغة العربية بدعوى أن في قواعد اللغة العربية ثوابت لا يصح أن تستمر ، مع أن هذه الثوابت هي التي تحفظ اللغة وتحفظ الإسلام .

والإبــداع الفنــي في الغرب يجعل الصور المحسة بعامة وجسم الإنسان بخاصة له المقــام الأول في فلسفة الجمال ، ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية ما هي إلا حوار مكرر من الإنسان وصورته وتقوقع الإنسان في داخل نفسه .

والســينما تصــور المــرأة في الإبداع الفني وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجل وخيانة الــرجل لزوجته ، وقد اختفت صورة المرأة المكافحة التي تعيش في ظل المعاني الأسرية وتصورها على أن لها الحق في ممارسة كل الأفعال غير الأخلاقية في حرية تامة ، وإلا فهي الضحية وهي المظلومة في حقوقها الإنسانية .

وباســم الإبــداع والفــن والحب ترتكب كل الآثام ثم تلتمس لها الأعذار ، وقد أصبح أبطال الشاشة هم القدوة والمثل للشباب ، فهم يقلدون ما يرونه في السينما وفي التلفاز من تصــرفات وملابس وأزياء وأفكار ، ويقولون إن الدين قيد على الإبداع والفن والجمال ، وهــذا مفهوم غربي غير إسلامي ؛ لأن الإسلام هو الحياة الحقيقية ، والحياة الحقيقية هي الإسلام ، وكل مذهب ملزم بالفكر الذي يدعو إليه .

والإنســان فــي المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية ، وله تأثيره المتميز على نفســية المتلقــي وفكره – حتى وإن لم يدركه بسبب التأثير – والمبدع المسلم يعيش عقيدة

وفكــرا وســلوكا من نوع خاص ، وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية ، وفي قدراته الإبداعية .
والتصــور الغربـــي للإبـــداع قـــائم على مادية الإنسان وحيوانيته ، وإنكار الروح ، والســـبب فـــي ذلـــك الداروينية التي تولدت عنها الماركسية ، وعلم النفس الحديث ، وعلم الاجتماع الحديث .
وقـــد صـــور فلاسفة الإبداع في الغرب الدين على أنه علاقة تعدد وتضاد بينه وبين الإنسان ، فتارة يقولون: الإبداع غاية وإن شعارات الدين والسياسة وغيرها تفسد الإبداع ، وتارة يقولون: إن الأديان قيود وإن الإبداع حرية وانطلاق ، ومرة ثالثة يقولون: إن الدين عمـــاده الأخلاق وإن الإبداع لا يعبؤ بهذا الجانب ؛ لأنه يهتم بكل ما هو جميل ، ولا يفكر فيما إذا كان يعبر عن فضيلة أو يعبر عن رذيلة .
والإســـلام يحـــافظ على شخصية الفرد وأخلاقه ، كما يحافظ على شخصية المجتمع وأخلاقـــه ، حـــتى يمكن للجميع أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة باعتبارهم خلفاء الله في الأرض ، يأمـــرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله تعالى الخالق الرازق المحي المميت ، الذي سيحاسب الناس على أعمالهم ، يقول الله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ (الزلزلة ٧، ٨) .
والإنســـان إذا فقـــد قدرتـــه ووعيه الذاتي بنفسه ، وأصبح مندمجا مع غيره في كتلة واحـــدة لا تمايز فيها ، كما الحال في قطيع الغنم فإن آدميته تكون قد ضاعت في اللحظة نفســـها ، وذلك يقتل فيه الإبداع ويعدم الأفكار ، بل يصبح المبتدع – إن وجد – منحرفا ، ويصبح التفكير ساذجا وخارجا عن الجماعة .
والإبداع ليس الغموض – كما يحاول الغرب أن يصوره – بل الوضوح دون الإهدار للقيم الفنية الجمالية .
والمبدع يعبر عن الحياة من خلال نفسه وفكره ، يبدع لها صورة مؤثرة أخاذة ترتبط بذاتـــه وخصوصـــياته فتـــبدو متفردة جميلة ، ثم إن الإبداع يرتبط بالمسؤولية النابعة من صـــميم الإســـلام – على عكس الفلسفات الغربية التي تنوعت وتعددت وأصبحت لا تلتزم بالقـــيم – وبذلـــك استمالت المتحللين من القيم والأخلاق والمبادئ ، وقد فهموا أن ذلك هو قمـــة الحـــرية – مع أنه في الحقيقة هو العبودية – لأن الحرية الحقيقية تتبعها المسؤولية النابعة من ضمير الفرد ومن قيم المجتمع على السواء .
والإبـــداع لذلـــك يقدم الإحساس الرفيع للناس في صورة من صوره ، والإسلام يوقع علـــى الحس البشري توقيعات شتى تهز الوجدان من أعماقه في توجيه القلب البشري إلى آيـــات الله ســـبحانه تعالى في صفحة الكون ، والإسلام وهو يربي الروح يعمل على إثارة الحياة فيها عن طريق النظرة والتفكير .
ثم يوجه القلب البشري إلى علم الله تعالى الشامل لكل ما في الحياة ، وإذا كان الغرب يعمـــل علـــى إبـــراز الجنس في لوحة الإبداع والفن ، فإن الإسلام يصور الحب بالمعنى الشـــامل للحب والجمال – الجمال الأكبر المستمد من جمال الكون – وهو الذي ينبغي أن تمارســـه الفنون الإنسانية الرفيعة التي تتجاوب مع حقيقة الوجود تجاوبا صحيحا وذلك هو

الجمال الذي يؤدي وظيفته في هذه الحياة ، وذلك هو الإبداع الذي يجعل المسلم قادرا على الانسجام مع نفسه ، ومع مجتمعه ، ومع الكون ، ومع ربه سبحانه وتعالى ، وهذا ما يميز المبدع المسلم عن غيره ممن يسمون بالمبدعين في الشرق وفي الغرب على السواء .

## الإبداع والحداثة :

الحداثـة بمفهومها الغربي تدعو إلى التطرف والعنف ، ترى هل الإبداع مطلوب في هـذا المجـال ؟ ، ترى ماذا يفعل الشباب عندما يقرؤون عبارة ( من قال إن يوسف عليه السلام لم يزن بـ زليخا ؟ ) أوحين يقرأ ( إن لوطا عليه السلام قد زنى بابنته ؟ ) .

إن الإبداع الحقيقي هو تخيل إنساني رفيع يقدم الإحساس الرفيع للناس في صورة من صوره ، وحرية الفكر تسير في اتجاهين :

الأول : أن يكـون الفكـر له قـيمة مؤثرة في مسيرة الإنسانية ، وأن يكون حافزا للتقدم والحـرية ، وداعية إلى الأخلاق الفاضلة ، وهذا الفكر يحترمه الإسلام ويقدره ، ولفاعله ثوابه عند الله سبحانه وتعالى .

الثانـي : أن يكـون الفكـر نوعا من التكتيك الذي يستخدمه بعض المرتزقة بهدف إعاقة الإنسـانية عـن التقدم ، وداعيا إلى فساد الأخلاق والقيم ، وهذا الفكر مرفوض وصاحبه سينال جزاءه عند الله تعالى .

ولذلك فإن المعيار الأساسي لتقويم الإبداع في الإسلام :

١- أن يكون الناتج فيه جديدا وأصيلا .

٢- وأن يكون ذا قيمة بتأثيره في المجتمع في الوقت ذاته .

والإسـلام فـيه حـرية في الفكر ، المرسومة بالانضباط والتوازن الكامل من القيم الأخـرى ، وهو الحاكم دائما على الحضارات الأخرى والأمم المختلفة في مفهوم الإبداع والفـن والأخلاق ، ولم يكن في يوم من الأيام خادما لأهواء الناس ، ولا مبررا لانحرافهم لأنه من الله تعالى .

والقرآن الكريم واضح كل الوضوح في تثبيت هذا المفهوم في نفوس المسلمين ؛ حتى يقوموا بدعوتهم إلى الله على بصيرة ، يقول الله تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾** (الحج:٧٨) .

والإبـداع الفنـي في الإسلام يصور الإنسان على صورته المزدوجة قبضة من طين الأرض ونفخـة من روح الله تعالى ، وفي طريقة التسجيل تلتقط لحظة الهبوط على أنها كذلـك لا على أنها لحظة بطولة تستحق الإعجاب ، بل هي لحظة الإفاقة من الهبوط التي يطلـبها الإسـلام ، حيـث يقول الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**

**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** (آل عمران :١٣٦،١٣٥) .
فالدافع الحقيقي هو الارتفاع فوق الواقع وهو حقيقة إنسانية قد تكون قليلة ولكنها موجودة وتستحق التسجيل كلحظات تفتح الزهور .
ترى ألم تكسب البشرية من تسجيل لحظات تفتح الزهور ؟ وكذلك لحظات المشاعر وثمرات النفوس ؟

## الجانب الوجداني :

والجانب الوجداني أدخل الجوانب في الإبداع الفني ، وعنصر التأثير هو العنصر البارز في الفن والإبداع ، وأقرب وسائل التأثير تصوير الوجدانيات البشرية في صورة جميلة موحية تؤثر في الوجدان ، والذي يجدد ذلك طريقة تناول الموضوع .
والجنس مثلا يأخذ مساحة واسعة في النفس الإنسانية لا يأخذها في عالم الحيوان ، مشاعر وعواطف وفنون من الغزل وشوق الجنس ومودة الألف ورغبة في القرب ، ولكنه لا ينقلب من كونه وسيلة إلى كونه غاية ، إنه وسيلة لحفظ النوع وترقيته ، وذلك لا يطغى على مساحات مخصصة لغيره ، ولا يفسد تكوينها الطبيعي المترابط ، ولا ينفصل بذاته عن بعض المشاعر فهو ليس جنسا خالصا لا علاقة له بمتعة النفس التي يوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** (الروم:٢١) ، فالسكن هو الهدف الأول من الزواج في عالم الإنسان ، وليس مشغلة الفكر البال ولا النصب والعذاب والقلق والاضطراب واللهفة الدائمة التي لا ترتوي .
والفن الإسلامي يتحدث عن المشاعر التي تربط بين الجنسين في حدود نظيفة ، وقصة **موسى** عليه السلام مع ابنة **شعيب** التي ذكرت في صورة القصص فيها عرض لعواطف أنثى نظيفة تجاه رجل ، عواطف الإعجاب بقوته وشهامته ثم أمانته المتمثلة في محافظته عليها وعلى عرضها في الطريق إلى الدار ، والأب يقر ذلك ويزوج ابنته لموسى ، ويقر القرآن الكريم هذه العواطف فيؤديها في تقرير وصراحة .
وقصة **يوسف** عليه السلام تمثل قصة الهبوط الجنسي عند امرأة العزيز ، ومع ذلك لا نجد إثارة التلذذ بالجنس والإعجاب لحظة الهبوط والمتعة بالمشاعر المنحرفة ، إنها أمانة في الوصف بلا إثارة نفسية ولا تلذذ ولا إفساد أخلاق .
والحب طاقة من طاقات النفس ، ولكنه حب شامل للوجود كله بما فيه ومن فيه ، والحب الإلهي وحده هو الذي يمكن أن يستوعب فنا قائما بذاته ، وحب الأم والولد لا تدخله غاية الجنس .
والقصة في القرآن الكريم نظيفة ، إذ أنها حين تلم بلحظة الضعف البشري فإنها لا تصنع منها بطولة بل عرضا فقط ، ثم يسرع ليسلط الأضواء على لحظات الإفاقة والتغلب على الضعف البشري ، وحين يعرض الفاحشة لا يعرضها للتلذذ بها ، بل إنه يعرضها ليفسح المجالات لأحداث الحياة العليا ، ويفسح المجال للتصور الإيماني الكبير للكون

والحياة والإنسان .

والمبدع المسلم له ذوق خاص ينفرد به ؛ لأنه ينطلق بثقة لا نهاية لها في العدل الإلهي ، ويدفع إلى التقرب من الله تعالى ، وما دام الفنان المبدع أمينا صادقا فإنه لا يدعي لنفسه شيئا غير مقبول ولا معقول ، ولكنه يرجع ذلك إلى المنة الإلهية والتوفيق الرباني .

## الإبداع في الأدب :

ينشأ الإبداع في الأدب من الإحساس بالجمال في صورة كلمة ، تتناسق عناصرها ، وتتآلف ألوانها ، وتنسجم علاقات أجزائها فتعطي طابعا متميزا بالرضا والفرح .

والأدب الإسلامي في جوهره أدب الاستشراف والتسامي بالنفس الإنسانية ، وقمة الحرية تكون في قدرة الإنسان على الالتزام ، وكل شئ في الإسلام له هدف ، وهو يعين المسلم على أداء وظيفته التي خلقه الله تعالى من أجلها .

ومن المنظور الإسلامي فإن دعوى الفن للفن والإبداع للإبداع ما هو إلا خرافة ، ويلاحظ أن إسلاميات شوقي قد سمت بشعره إلى آفاق أسمى وأرحب من الآفاق المعروفة في ذلك الوقت ، وإسلاميات إقبال كان فيها حريصا على الإبداع والارتقاء بالصور الفنية، وذلك لأنهما التزما بالدين الإسلامي وهو الدين الحريص على سلامة المضمون ، وضرورة التعبير عن الفكر الإسلامي الصحيح ، وعلى الانطباع الصادق أو التساند البنائي لدى الملتقي .

وهكذا نرى أن الإسلاميين أحرص على الإبداع الفني لأنهم يوظفونه توظيفا ساميا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، وهم حريصون على إيصال كلمة الحق إلى البشر كافة ، وهم حين يدخلون إلى الإبداع من الطريق الصحيح فهم متسلحون بالوعي والإيمان والحب والخير ، وذلك لكي تكون الكلمة رحمة وخيرا للعالمين ، ولا تكون عاملا من عوامل الهدم والضياع والتسيب .

## الإبداع الفني :

والإبداع الفني في الإسلام يسمو في وصف الطبيعة المحدودة ليحوي كل شئ في هذا الكون معبرا عن إيمان عميق عن بدائع خلق الله تعالى ، وحسب المسلم أن يستخدم مواده الفنية عن الطبيعة بذوقه وقدرته على التشكيل ليخرج منها بأشياء نافعة وجميلة ، وتتمثل في الخطوط وغيرها ، ويعالج الإبداع الفني موضوعات الكتابة والخطوط والنقش والعمارة من خلال منظار إسلامي جمالي يستوحي أصوله من حجج الله تعالى البالغة بآياته البينات ، ويظهر ذلك في عمارة أبنية المساجد وصناعة الأواني والبساط ، وتدرج فنون الكتابة والفنون كما يظهر في جمال أداء الشعائر ومن ذلك الصفوف المتساوية في الصلاة .

والإبــداع الفني يشمل كل ما في الحياة وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة ، ووفق وظيفة الإنسان التي خلقها الله تعالى من أجل تحقيقها في هذه الحياة ، وهو لا يزيف حقــيقة ، ولا يخلق وهما فاسدا ، ولا يحابي ضلالا ، ولا يزين نفاقا ، ومن ثم فهو ينهض بعزائم المستضعفين ، وينصر قضايا المظلومين ، ويبشر بالخير والحق والجمال .

ومــن هنا فإننا نجد أن الإبداع في الإسلام ما هو إلا إبداع الضمير الحي ، والوجدان الســليم ، والتصــور الصحيح ، والخيال البناء ، والعواطف المستقيمة ، وهو لا يتجه إلى انحــراف نفسي ، ولا إلى اختلال شعوري ، أو مرض فلسفي ، بل إنه يقوم بتأصيل القيم الجمالــية والمضامين الفكرية الأصيلة ، وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية المعاصرة في جميع المجالات .

والمــبدع المســلم لا يكمــن فــيها الخلل الداخلي ، ولا الخلط الأهوج بين الوسائل والغايات ، ولا سوء النية ولا العداء العجيب لكل شيء في الكون ، وهذا ما يعيش الغرب فــيه بســبب الخــواء الروحي ، وقد دفعهم ذلك إلى التهكم بالقيم وإنكار العقيدة الدينية ، والمــبدع المسلم مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم والمنهج الإلهي ، وذلك يساعده على الالتزام الداخلي وهو البعد الآخر للصدق .

# فن دلالات الألوان في القرآن الكريم

## تمهيد :

الألـــوان تثـــير فـــي نفس الإنسان كثيرا من التساؤلات التي تحتاج فيها إلى إجابات مـــريحة لنفسه حتى يمكنه أن يتعامل معها التعامل السليم سواء أن كان ذلك في البيت أو في مكان العمل أو في المجتمع الذي يعيش فيه .

وقـــد أثبـــت العلمـــاء بتجاربهم العملية أن للألوان أثرا على الإنسان ، لأن اللون له موجات تؤثر على جسم الإنسان وعلى عينيه ، كما أنها تؤثر على تفكيره .

وقـــد أثبتت التجارب أن لكل لون موجاته الخاصة التي تختلف تماما عن موجات أي لـــون آخـــر ، وقـــد أجرى بعض علماء النفس تجارب على الألوان أثبتت أن لها تأثيرات تصـــل إلى أعماق النفس الإنسانية ، ولذلك فإن المستشفيات أصبحت مهتمة بالألوان التي تلائم جدران حجرات المرضى لتساعد على شفائهم .

كمـــا أن بعض الألوان أسهمت في إبرام بعض الاتفاقيات المختلفة في يسر ونجاح ، وكـــان العـــامل الأساســـي في ذلك هو الحالة النفسية التي أوجدها اللون الغالب في مكان الاجتماع .

ولذلـــك أصـــبح علم الألوان له أصول تقوم على أسس من الدراسات المتنوعة ، وقد رأيـــت أن ألقي بعض الضوء على فن دلالات الألوان في القرآن الكريم ؛ لأن ذلك يساعد علـــى فهـــم دور الألـــوان في حياة الأفراد والجماعات حتى يمكن أن يستخدمها الإنسان استخداما سليما ، فيساعده ذلك على أداء دوره الإيجابي في هذه الحياة .

والإنســـان المســـلم له دوره الواضح في هذه الحياة وهو عمارة الأرض طبقا لمنهج الإسلام الكامل ، فالله سبحانه تعالى خلقه وكرمه وجعله خليفة في الأرض وأرسل الرسل لهدايته ، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذيـــن من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، على أن يعـــبدوه ولا يشـــركوا به شيئا ، وعلى أن يسيروا على منهاجه فيفوزون بالسعادة في الدنيا والآخرة ، ويحسون بأنهم في أمن وأمان ، وراحة واطمئنان ، وأرجو من القارئ أن يقـــرأ ويـــتدبر ، ويسير على المنهاج السليم في استعمال الألوان الاستعمال السليم ، الذي يجعل لها دورا إيجابيا في حياة الفرد والمجتمع ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

## اللون الأخضر :

القرآن الكريم تحدث كثيرا عن اللون الأخضر في جنة الخلد ، وقد أصبح علم الألوان علمـــا له أصـــول واتجاهات تقوم على أسس الدراسات المختلفة والبحوث المتنوعة ، وقد توصـــل العلمـــاء إلـــى أن اللون الأخضر هو اللون الوحيد الذي يجلب السرور إلى داخل

النفس والانغماس في الفكر ، إلى جانب أنه يثير في نفس الإنسان البهجة والسرور وحب الحياة .

واللون الأخضر له تأثيره الفعال في تنظيم الروح والجسد ، ويجعله يسيطر على أفعاله ، وقد اكتشف العلماء أن اللون الأخضر يقلل من الشعور بالدوار بين ركاب الطائرات في الرحلات الجوية الطويلة ، ولذلك اتجهت شركات الطيران إلى استخدام اللون الأخضر في أقمشة مقاعد الطائرات ، وقد أشار القرآن الكريم إشارات دقيقة لما للخضرة من أهمية في حياتنا في أربع آيات وقرن ذكرها بالماء في آيتين .

وقد أثبت العلم الحديث أن الماء والخضرة وجهان للحياة ولا حياة بدونهما ، فنشأة الحياة ووجودها لا يكون إلا بالماء ، واستمراره فيها لا يكون إلا بوجود الخضرة ، وأكسجين الهواء يتجدد بواسطة ما يخرجه النبات الأخضر في عملية البناء الضوئي في فترة الصباح في وجود الضوء ، وقد ثبت علميا أن هذا الأكسجين الذي يصدره النبات إنما هو منتج من الماء الذي حصل عليه من التربة .

وعن دور الخضرة في استمرار الحياة يقول الدكتور " **حسين أبو زينة** " الباحث بالمركز القومي للبحوث في مصر: ( إن الخضرة هي ما يعرف بمادة اليخمور " الكلوروفيل " أو الورقة الخضراء - بما فيها من تركيب هندسي معقد - بما حباها الله تعالى من قدرة على امتصاص الطاقة الضوئية وتحويلها إلى طاقة كيميائية ، وهي تحول ثاني أكسيد الكربون والماء إلى أوكسجين ومواد هيدروليتية ، وهي التي تمثل مصدر الطاقة للخلايا الحية ) .

ونظرا لاستحالة الحياة بدون وجود الأكسجين اللازم للتنفس الذي يمدنا به النبات في أثناء قيام الأجزاء الخضراء بعملية امتصاص الضوء المعروفة بعملية البناء الضوئي وتحويله إلى عمليات كيميائية ، وكذلك تكون الخضرة المصدر الوحيد للغذاء فهو غذاء للإنسان والحيوانات والطيور التي يأكلها الإنسان وكذلك الأسماك .

وقد ذكرت الخضرة في القرآن الكريم في ثمانية مواضع - منها ثلاثة خاصة بالجنة والخمسة الأخرى في أربعة سور - ولكل منها دلالة مختلفة ، يقول الدكتور " حسن أبو زينة " عن أوجه الإعجاز في سورة يوسف حيث ذكرت الخضرة مرتين وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ** ﴾ (يوسف: من الآية٤٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف:٤٦) ، وفسر يوسف عليه السلام الرؤيا بأن الإشارة إلى الخضرة في السنبلات الخضر تدل على الإنتاج الوفير فقال :﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾ (يوسف:٤٧) .

والقرآن الكريم يتحدث كثيرا عن اللون الأخضر في جنة الخلد ، وكيف يتمتع الذين رضي الله عنهم وأدخلهم الجنة بهذا اللون في ملابسهم ومتكئاتهم ، يقول الله تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ (الرحمن:٧٦) ، أي مستندين على وسائد

خضـــر من وسائد الجنة ويقول: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ (الإنسان: من الآية٢١) ، أي تعلوهـــم الثياب الفاخرة الخضراء المزينة بأنواع الزينة المختلفة من الحرير الرقيق ، يقـــول الله تعالى ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف: من الآية٣١) ، أي يلبسون من الثياب أرق من الديباج ولونه أخضر .

وهذه الآيات الكريمة وضحت أن اللون الأخضر هو علامة المتعة والسعادة والبهجة والســـرور والاطمئـــنان والراحة النفسية الكاملة ، وهو لون من الألوان التي تكررت في وصف ما في الجنة من نعيم .

وفـــي هذه الآيات الكريمة إشارة لما يسببه اللون الأخضر في النبات من وفرة شديدة في الإنتاج يقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْـنَا مِـنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِـنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِـي ذَلِكُـمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:٩٩) ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج:٦٣) ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (يـس:٨٠) .

ويقـــول الدكتور " **حسين** " ( إنه لم يكن معروفا خلال القرون الماضية الدور الخطير الـــذي يقوم به الجزء الأخضر من النبات في حياتنا ولم يكتشفها العلماء إلا حديثا ، ولذلك فـــإن كـــل جهود العلماء وأبحاثهم تتركز في المحافظة على هذه المادة الخضراء ومحاولة زيادتها ) .

وقـــد لاحظ الباحثون أن الإنتاج في بعض المصانع الأمريكية قد زاد ٨% بعد طلاء الحوائـــط بـــاللون الأخضـــر الـــذي يملك التأثير الواضح في نفس الإنسان فيقضي على التمارض والهروب من أداء الواجب .

ومن الطرائف التي ذكرها الباحثون أن العمال في أحد المصانع الغربية شكوا من نقل الصـــناديق الســـوداء التي تجعلهم يحملون ما لا يطيقون ، وعندما تم طلاء هذه الصناديق باللون الأخضر شعر العمال في الحال أنها أخف وزنا ولم يعودوا للشكوى بعد ذلك أبدا .

وقـــد توصل الدكتور " **كيرت جولد شين** " عالم النفس والأعصاب في الثلاثينيات من القـــرن العشرين إلى أن : ( الوقت يعد أطول في الضوء الأحمر ، وأن الأشياء تبدو أكبر وأثقل وزنا ) .

واللـــون الأخضـــر لـــون يحمي من الانتحار ، فقد لاحظ الباحثون أن لندن كان بها كوبـــري علـــى نهر التايمز ، وكان المكان المفضل للراغبين في الانتحار والخلاص من الحـــياة وكـــان يســـمى ( كوبري المنتحرين ) ، وكان مدهونا بلون قاتم ، وقد اقترح أحد الخـــبراء بتغيير لون الكوبري إلى اللون الأخضر ، وبعد دهانه باللون الأخضر لم يحدث انتحارا أبدا .

والأطباء يؤكدون على أن اللون الأخضر يفيد تماما في حالات ضغط الدم المرتفع ، ولذلـــك فإن الأطباء كثيرا ما يستخدمون اللون الأخضر في ثياب أطقم الجراحين والأطباء والممرضـــات والعامليـــن في غرف العمليات الجراحية بالمستشفيات عند إجراء العمليات

الجراحية .
واللــون الأخضر مهدئ جدا في حالات الانفعال الشديد ويساعد على الهدوء الجسدي والعقلي ويغير الأفكار ، والأعصاب تسكن لأن له خواص مهدئة .
واللــون الأخضــر مرتــبط بصــفات الاستقرار والأمان لسهولة إدراكه ، والدولار الأمريكــي مرتبط باللون الأخضر ، وهو لون مرتبط بالربيع والحياة الريفية والزروع ، ويرد إلى العطاء والنماء ، كما أنه يدل على شخصية تكره التعقيد وتحب البساطة ، ويدل على الشخصية المتدينة .
وقد لوحظ أن اللون الأخضر يحبه ٧٠% من الرجال ، وأنه يبعث فيهم شعورا فياضا بالــتفاؤل ، كما أنه يخفف من الإحساس بارتفاع درجة الحرارة في الجو ؛ لأنه لا يعكس إلا قدرا ضئيلا من الضوء .
واللــون الأخضــر كــان أحــب الألوان إلى العرب في وسط الصحراء الجرداء ، والمســلمون فــي الجمهوريــات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي يعتزون باللون الأخضر ويقولون ( إن اللون الأخضر هو رمز لسيد الخلق محمد ﷺ ، وهو رمز لانتصار الرسول في غزواته ، ورمز لانتشار الدعوة الإسلامية ) .
ولأن بعــض الألــوان تثــير الاكتئاب ، وبعضها يهدئ الأعصاب ، فإن الدعوة في الغــرب انتشــرت ، وكانــت لنتيجة تغليف الأغذية الطازجة باللون الأخضر لتتناغم مع طبيعــتها ، والابتعاد عن التغليف بالألوان الأخرى ، كما أن بعض شركات المياه المعدنية بــدأت فــي تعبــئة المياه المعدنية بإضافة لون أخضر بعد أن ثبت أنه يضفي عليها نكهة طيــبة ، وهكذا نرى أن اللون الأخضر قد اكتسب صفات خاصة في القرآن الكريم ، وفي الحضارة الإسلامية وفي الحضارة الغربية أيضا .

## اللون الأحمر :

اللــون الأحمــر يجعل الإنسان يشعر بالدفء ، ويحس بالحرارة ، ويترتب على ذلك نتائج فسيولوجية ، ويوجد حالة اضطراب عند بعض الأشخاص .
وأطــباء القرون الوسطى في أوروبا والصين تنبهوا لأهمية اللون الأحمر في معالجة مــرض الجــدري وأمــراض أخرى ذات طفح على البشرة مثل حمى الحصبة ، وكذلك معالجة بعض الأمراض الجلدية .
وقــد توصــل "**كــيرت جولد شتون**" عالم النفس والأعصاب في الثلاثينات ؛ إلى أن الوقت يبدو أطول في اللون الأحمر والأشياء تعد أكبر وأثقل وزنا .
واللــون الأحمــر هو لون التحدي المطلق ، والانفعالات بلا قيود ، ولا يتناسب مع الأشــخاص ســريعي التأثر والانفعال ، ولكنه عظيم النفع لمن يتمتعون بعواطف حساسة والأشخاص دائمي العبوس والذين يلازمهم الشعور بالانقباض .
واللــون الأحمر لون مبهج ومنبه للأعصاب ، ومن المعروف علميا أن اللون الأحمر يزيد من ضغط الدم بنسبة ١٧% ، لذلك لا يوجد دواء قلب بهذا اللون على الإطلاق .

واللون الأحمر يتميز بالعدوانية ؛ لأنه غالبا ما يرتبط بالعنف والإثارة ، فهو يزيد من ضربات قلب الإنسان ولذلك يستعمل في مصارعة الثيران لإثارة المتفرجين ، وله ميزة في رفع الروح المعنوية في الزي العسكري ، ويرمز العلم الأحمر إلى الثورة ، ويرمز البساط الأحمر لشخصية مهمة ، وذلك للتعبير عن المزيد من الاحترام .

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في آية واحدة وذلك في قوله تعالى: **﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾** (فاطر: من الآية٢٧) ، أي ومن الجبال طرائق مختلفة الألوان بين مختلف البياض وحمر مختلفة في حمرتها وجبال شديدة السواد .

## اللون الأسود :

اللون الأسود يجسد قوى الظلام التي هي في صراع دائم مع قوى الشر ، ويدل على الغدر بدلا من البراءة ، وعلى الحزن بدلا من السعادة ، أي أنه لون الخطيئة والباطل ، ويرتبط اللون الأسود في حياتنا بالمناسبات الحزينة ، ولذلك فإنه يبعث على التشاؤم في نفوس الكثيرين ، ويقولون ( الحزن والحداد والنظر إلى الحياة بمنظار أسود ، ويحمل في طياته نذير شؤم لأنه يعبر عن المجهول ) ، ولذلك فإننا نجد التعبيرات المشهورة التي تدل على ذلك مثل ( القائمة السوداء ) ودلالاتها النظارات السوداء وأيلول الأسود (سبتمبر) .

وفي عالم الأزياء يعتبر اللون الأسود في الحاضر ملكا على عرش أزياء السهرات وذلك من باب التغيير .

وقد ورد اللون الأسود في القرآن الكريم في ثماني آيات ، منها : **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** (آل عمران:١٠٦) ، فأهل الباطل تسود وجوههم ، والسواد من الظلمة للكافر ، وهي ظلمة الكفر ، ولذلك يقول القرآن الكريم : **﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** (الأنفال:٣٥) .

ويبين القرآن الكريم صورة من صور الكفار في الجاهلية حين يبشر أحدهم بولادة أنثى له وهو يريد ابنا ذكرا ، فيقول تعالى: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** (النحل:٥٨) ، أي جاء وجهه وكأنه أسود من الكآبة والحزن وهو ممتلئ غيظا وغما من سوء ما بشر به ، ويفكر أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟

ومنها **﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾** (الزخرف:١٧) أي إذا بشر أحدهم بالأنثى صار وجهه متغيرا من الهم والحزن ، والعرب تقول لمن لقي مكروها (قد أسود وجهه ) والله سبحانه وتعالى يقول **﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** (الزمر:٦٠) .

ومن طريف ما يذكر أن مصممة المكياج الأولى في بيت أزياء " **بوسان لوبران**" بفرنسا قالت : لقد طرحنا في الأسواق منذ سنوات ألوان مكياج جديدة صارخة جدا وتهافتت النساء على شرائها ولكنهن لم يستعملنها ، وطرحنا منذ عامين طلاء أظافر باللون الأحمر الداكن الذي يميل إلى اللون الأسود فلم يحقق مكاسب .

## اللون الأبيض :

ورد في القرآن الكريم في تسع آيات وهو يدل على الطهر والبراءة والنور ، وقد كان هـذا اللـون رمزا للقوى الإلهية العليا في كثير من الحضارات ، ويقال في الأمثال (هذا أبـيض مـن الثلج ) للدلالة على البراءة والنور ، ولأنه يتسخ بسرعة فقد أصبح استعماله قاصـرا علـى مناسـبات معيـنة مبهجة كالأفراح ، حيث تزدان به العرائس في حفلات الـزفاف ، وهـو رمـز للطهارة والإقبال على الحياة الجديدة ، وقد ارتبط الزفاف باللون الأبيض لأنه يمثل قيمة لا يمكن المساس بها .

ومن الآيات التي ورد فيها اللون الأبيض في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُوهُهُـمْ فَفِـي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (آل عمران:١٠٧) ، أي ابيضت وجـوه المؤمنيـن من الفرحة برضاء الله تعالى عليهم ، وعن يد موسى عليه السلام يقول الله تعالى : ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ (الأعراف:١٠٧، ١٠٨) ، وقوله تعالى ﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** ﴾ (طـه:٢٢،٢٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ (الشعراء:٣٣) .

ومعـنى ذلـك أن هـذا اللـون محبـب إلى نفس الإنسان ؛ لأنه يبعث فيها الراحة والطمأنيـنة والنور ، فيد موسى عليه السلام تخرج بيضاء مضيئة كضوء الشمس والقمر مـن غـير تعب ولا مرض ، ويقول الله تعالى عن المكرمين في جنات النعيم في سورة الصـافات : ﴿ **أُولَـئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ** ﴾ ( الصافات ٤١: ٤٩) ، فالخمر بيضاء ذات لذة للشاربين ، ليس فيها ما يغتال عقولهم ولا ما يسكرهم ، وعندهم شابات جميلات قاصرات الطرف كأنهن بيض مكنون .

## اللون الأصفر :

أوضـحت الدراسـات النفسية أن اللون الأصفر يبعث النشاط في الجهاز العصبي ، ولكن يمكن لبعض درجات اللون الأصفر أن تسبب إحساسا بالغثيان .

ويسـتخدم اللـون الأصـفر في فصول المدارس لزيادة نشاط الأطفال ، وقد وجد أن الأطفال يختارون اللون الأصفر للقصص السعيدة ، واللون البني للقصص الحزينة .

واللـون الأصفر أقرب الألوان إلى الضوء ، ويحمل بين طياته طبيعة الإشراق واللمعان ، والشخصية الصافية والناعمة والمثيرة .

واللون الأصفر يثير انطباعا دافئا ومقبولا ، ويعد رابطة بين ظاهر الشمس التي تهب الحياة وتوجد في السماء ، والذهب محبوب ولونه أصفر ، وهو مقياس الثراء الحقيقي في كوكب الأرض ، وهو يعتبر لونا طبيعيا للتنوير ، ولذلك فإنه يمثل العقل والذكاء والفطنة.

واللــون الأصــفر في لون بشرة ما أو في ورقة ساقطة في الخريف أو في الغلاف الجــوي المحيط يعتبر إحساسا بقرب عاصفة هوجاء ، وقد ورد اللون الأصفر في القرآن الكريم في خمس آيات منها قواه تعالى في وصف جهنم: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنَّــهُ جِمَالَــتٌ صُــفْرٌ ﴾ (المرسلات:٣٢،٣٣) ، أي أنها تعذب بشرر عظيم من النار كل شــرارة فــيه كأنه القصر العظيم كأنه شرر جهنم المتكاثر ، وفيها الإبل الصفر في لونها وسرعة حركتها ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ﴾ (الزمر: من الآية٢١) ، أي إضــافة مــن بــرد وغــيره ، ثم يهيج فتراه مصفرا أي يدرس فتراه بعد ذلك اصفر بعد خضرته ، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً ﴾ (الروم: من الآية٥١)، أي ولقــد أرسلنا على الزرع بعد خضرته ونموه ريحا ضارة ، فترى الزرع مصفرا من أثــر ذلك الريح ، ويقول الله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُــونُ حُطَامــاً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد:٢٠) ، واللون الأصفر منشط للفكر الفلسفي .

## اللون الأزرق :

يقــول الله تعــالى ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ (طــه: ١٠٢) ، أي يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ونحشر المجرمين إلى أرض المحشر زرق العيون سود الوجوه .

واللــون الأزرق له تأثــير على العين في الجانب السلبي ، وفي أعلى درجات زرقته يولد تأثيرا سلبيا ، ولذلك يعد نوعا من أنواع التناقض من الإثارة والاسترخاء .

وقد تسبب اللون الأزرق في شكوى العاملين في بعض المقاهي من الشعور بالبرودة مما أدى إلى إعادة طلاء الجدران باللون البرتقالي ، وهو لون من الألوان الباردة التي تدل على الميل الفطري للتحفظ على العلاقات مع الآخرين .

ويعتــبر اللــون الأزرق أيضا من النوع العاطفي الذي يتمتع بذكاء واضح ويستطيع التحكم في نفسه كثيرا في أوقات الشدة وبخاصة في العلاقات العاطفية .

وقــد لوحــظ أن الجــدران المطلية باللون الأزرق في المنشآت كان لها تأثير مهدئ ومريح للمرضى الذين يعانون من الناحية العاطفية .

## اللون البرتقالي :

له تأثير حسن بالنسبة لعملية الهضم عند الإنسان ، ومرجعه التأثير الفسيولوجي الذي يــؤدي إلــى زيادة العصارة الهاضمة ، ويعطي انطباعا بالدفء والسعادة لأنه يمثل وهج النــيران الكثيف ، كما أنه يمثل الأشعة الأقل حدة للمشي في وقت الغروب ، وليس له أي

ارتباطات سلبية سواء أكان ذلك من الناحية العاطفية أو الثقافية ، فلا يوجد من يشعر بالإحباط عند من يرى الألوان البرتقالية ، كما أن المعاني الإيجابية لهذا اللون قليلة .
ويلاحظ في هذه الأيام أن معظم محلات الأكلات السريعة يغلب عليها اللون البرتقالي، الذي يعتبر دعوة لتناول الهامبرجر بسرعة لترك المكان لشخص آخر ، وقد أثبت هذا اللون فاعليته في أداء الغرض منه ، ولكن الخبراء نصحوا بأن لا يميل اللون البرتقالي إلى اللون الأحمر لأن اللون الأحمر مثير ويمكن أن يحول المطعم إلى حلبة مصارعة .

## اللون الأرجواني :

هو اللون المرادف للانغماس في الشهوات الحسية أو لون الفسق والفجور ، إنه يجذب الانتباه في المشهد ، وفي الرمزية المكتسبة يعبر عن آلام المسيح بين ليلة العشاء الأخيرة وبين موته ، ويتطابق مع فترة صوم الفصح وبخاصة إبقاء الرماد وهو أول أيام الصوم الأكبر .

## اللون الرمادي :

يوحي بالذكاء ويرمز إلى التفكير ويتميز بالصفاء والوضوح ، ويوحي بالارتباط وافتقاد الوضوح في عالم لا يوجد فيه شيء أبيض أو أسود بصفة قاطعة ، وهو لون غامض سلبي متقلب سهل الانقياد عديم الشخصية متنافر طفيلي مداهن متلون .

## اللون البني :

هو اللون البرتقالي بعد إضافة اللون الأسود إليه ، وله ارتباطات كثيرة بحاسة الذهن، فهو لون القهوة والشيكولاتة ، وبعض الناس يرى في هذا اللون الكفاية ، ومن الناحية السيكولوجية يرتبط هذا اللون بالراحة والأمان .

## اللون البنفسجي :

يتكون من اللون الأحمر واللون الأزرق ، وعند اتجاههما معا يتميزان بالتذبذب السيكولوجي ؛ لأنه لون يشعر الناس اتجاهه بالسعادة والنشوة .
واللون البنفسجي رمز للعاطفة ، وقد اتخذه الفساق رمزا لهم ، فهو يثير خيالاتهم ويدعوا إلى العاطفة الهادئة الرقيقة ، كما أنه يرمز للإبداع في العمل ، ويسهم تأثير هذا اللون في إزالة الحقد والخوف والسخط ، كما أنه يرتبط بالرغبة الذاتية في التسامح والإعلاء ، وهو يشير إلى عمق المشاعر ، ويتم تفسيره في الجو الإنساني المميز على أنه

روحانـــي إذا كـــان فاتحـــا وبالكآبة إذا كان قاتما ، وفي الرمزية المكتسبة يعبر عن آلام المسيح بين ليلة العشاء الأخيرة وبين موته ، وهذا متطابق مع فترة صوم الفصح وبخاصة إبقاء الرماد وهو أول أيام الصوم الكبير .

## تحليل الشخصية عن طريق الألوان :

يقــول " **مارتــن لانمج مال** " في كتابه تحليل الشخصية عن طريق الألوان الخواص السيكولوجية لمختلف الألوان تتلخص في :

اللون الأحمر : لون قوي ، دافع ، حيوي ، باعث على الحيوية والنشاط .
اللون البرتقالي : لون محبب إلى النفس ، وهو لون اجتماعي .
اللون الأصفر : لون مبسط للفكر الفلسفي .
اللون الأخضر : لون متفاهم ، سمح ، يدعو للمتعة ، حساس .
اللون الأزرق : لون محافظ ، حساس ، جدي .
اللون الأرجواني : لون غامض ، مخادع .
اللون البني : لون هادئ ، محافظ ، يرمز إلى الضوء ، والنصر ، والبراءة ، والروح .
اللون الأبيض : طاهر ، وقد كان يرمز للقوة الإلهية العليا .

وقــد يعاني من يلبس الملابس البيضاء من بعض المعاني السلبية ، مثل الرجال الذين يعانون البرود الجنسي في الفراش وهم يلبسون سراويل بيضاء .

# فن النوم ودوره في حياة الإنسان

## مقدمة :

لقــد خلق الله تعالى الإنسان وجعل له وظيفة في الأرض وسخر الكون لخدمته حتى يســتطيع أن يؤدي وظيفته في هذه الحياة ، فالشمس تشرق لتعطي الدفء والنماء ، والدنيا تظلــم لــيلا لــيهدأ الكون وينام الإنسان ليستريح جسمه من عناء العمل ، والأرض تنتج الطعام ، والسحب تنزل المطر ليبقى الزرع ، والهواء ليتنفس الإنسان والحيوان والنبات.

ويعتــبر النوم من نعم الله تعالى على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى وفيه من آيات الله تعــالى التي تشهد بألوهيته وعظمته يقول الله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)** (الروم:٢٣) .

والإنســان لا يستطيع أن يعيش بدون نوم لأن حالته الصحية تتدهور وذلك يؤدي إلى المــوت يقول الله تعالى **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِــي قَضَــى عَلَــيْهَا الْمَــوْتَ وَيُرْسِــلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (الزمر:٤٢) ، ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها - أي يخــرجها من الأبدان عند فناء آجالها - وهذه هي الوفاة الكبرى ، والتي لم تمت في مــنامها - وهــي الوفاة الصغرى - يرسلها إلى أجل مسمى أي يرسل الأنفس النائمة إلى أبدتــنها عند اليقظة إلى وقت محدد لأن النائم كالميت لا يسمع ولا يبصر يقول الله تعالى **(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)** (الأنعام: من الآية٦٠) .

والــنوم ســر مــن أسرار الله عز وجل - والإنسان في العادة يقضي ثلث حياته في الــنوم، ومــدة النوم تختلف من شخص إلى آخر حسب قابليته وقدراته الجسمية والعقلية ، وقد لحظ الباحثون أن الأشخاص الذين تقل عدد ساعات نومهم ليلا يتعرضون إلى حدوث خلــل واضــطراب في الهرمونات حتى تؤثر على الكثير من قدراتهم ووظائف أجسامهم الحيوية.

وهكــذا نجــد أهمية النوم في حياة الإنسان كما بينها القرآن الكريم في آياته ، ولكن الإنســان الحديث بمخترعاته المتنوعة غير من أساليب الحياة السليمة وبخاصة في أوقات الــنوم ، وبذلــك بدأت المشكلات المتنوعة تظهر على السطح وتتزايد شيئا فشيئا وسيندم أصحاب المخترعات الحديثة يوم لا ينفع الندم.

## النوم :

الــنوم تعبــير يقصد به توقف نشاط الجزء المدرك الواعي من المخ ، أو هبوط ذلك النشاط هبوطا كبيرا في كافة أعضاء الجسم وأنسجته ؛ مما يترتب عليه انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته ، ثم يأخذ الجسم في أثناء النوم نصيبا من الهدوء والراحة بعد عناء

المجهـودات العضـلية والعصبية أو كليهما ؛ فتهبط جميع وظائف الجسم الحيوية ما عدا عملـيات الهضـم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد ، وفي النوم يبطئ التنفس ويصـير أكـثر عمقـا ، كما تبطئ سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفعه من القلب في كل ضـربة ، ويضـعف توتـر العضـلات ، ويصير من الصعب الحصول على الحركات العكسية، وكل ذلك يسبب الراحة للإنسان في أثناء نومه.

## أهمية النوم :

والـنوم لازم لكـل إنسـان وكـل حيوان ؛ لأنه يتكفل براحة الأجسام والأعصاب ، ويعوض الجسم عن الجهد الذي يبذله الإنسان في ساعات اليقظة والانشغال بأنشطة الحياة المخـتلفة ، فـإذا مـا نام الإنسان فترة ما ثم استيقظ فإنه يحس بتجدد النشاط والحيوية ، وبذلـك يسـتطيع أن يـبدأ عملا جديدا أو يكمل عملا سابقا ، وإذا ما اضطر الإنسان إلى اليقظة فترات طويلة لسبب أو لآخر ؛ فإن مصيره يكون الموت لا محالة.

ومن هنا كان النوم من أسرار تكوين الحي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى خالق الحياة ، وكل الذي يدركه أن فيه هدنة للروح من متاعب الحياة المستمرة وكد الإنسان فيها ، فيلقي الـنائم سلاحه طائعا أو غير طائع ، ويستريح فترة من السلام الآمن الذي يحتاج إليه الفرد حاجته إلى الطعام والشراب أو أشد .

والـنوم يجعل حركة الأحياء موافقة لحركة الكون ، فكما أودع الله الإنسان سر النوم بعـد العمـل والنشـاط ؛ فإنـه كذلك أودع الكون ظاهرة الليل ليكون لباسا ساترا يتم فيه السـبات، وظاهرة النهار لتكون معاشا تتم فيه الحركة والنشاط ، يقول الله تعالى **(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُـمْ سُبَاتاً ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)** (النبأ:٩-١١) ، ويقول في آيـة أخـرى مانـا على عباده بخلق الليل والنهار **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)** (يونس:٦٧) .

وقـد أكد علماء الطب وعلماء النفس على أن الليل تنشط فيه الهرمونات وبخاصة في وقـت الظلام والهدوء ، ولا مانع من أن يأخذ الإنسان قدر ساعة من النوم بعد الغداء إن شعر بحاجة من النوم وإن لم يشعر ، يقول الله تعالى **(وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ)** (الـنور:الآيـة ٥٨) ، كما أكدوا على أن أفضل أوقات النوم ما بعد العاشرة مساء وحتى الخامسـة صـباحا ، وتختلف ساعات النوم من شخص لآخر حسب العمر ، والشخصية ، والحالة النفسية ، والحالة البدنية ، وتتغير بعض وظائف الجسم ، فمثلا يزداد معدل إفراز الهـرمونات المسؤولة عن نمو الجسم ويزداد نشاط الغدة الدرقية ، بينما تقل إفرازات الفم والأنف والزور ، ويحدث تقلص لعضلة العين ويقل معدل ضربات القلب ، كما يقل ضغط الدم وينخفض معدل العمليات الحيوية.

وهـناك تغيرات عديدة تحدث في أثناء النوم ، فمثلا تستمر حركات الجسم وتقلباته ، ويـزيد مجـرى الـدم فـي المـخ في أثناء النوم عنه في أثناء اليقظة ، وينبسط الجهاز الباراسـمبثاوي فـي الجهـاز العصبي اللاإرادي فينتبه ، وأحيانا يبدو على النائم أنه غير

منتبه إلا أن عدم الانتباه يأخذ مجرى انتعاشيا ، فالأم تنام نوما عميقا وحولها ضجيج الشارع أو المذياع أو التلفاز ؛ ولكنها تصحو في الحال عند بكاء طفلها ؛ ومعنى ذلك أن هناك أجهزة معينة في حالة نشاط ، هذه الأجهزة مخصصة لالتقاط منبهات معينة مثل صوت الطفل بالنسبة للأم ، الشخص البالغ يحتاج إلى ست ساعات من النوم يوميا حتى يكون في حالة عقلية طيبة. .

## الحرمان من النوم :

والحرمان من النوم ما هو إلا عدوان يقع على الذاكرة والإدراك البشري ، وقد يؤدي الحرمان الطويل من النوم إلى بعض حالات الانهيار العصبي.

والنوم الكافي عنصر جوهري يبعث الإحساس بمتع الحياة التي شرعها الله تعالى لنا، والإنسان المتعب لا يستطيع أن يتخذ أي قرار سليم .

وفي النوم علاج للنفوس القلقة والأجسام المنهكة ، وفيه أيضا راحة من تعب النهار وبعد عن مشكلاته ، وقد بين القرآن الكريم أهمية النوم في حياة الإنسان وأنه بغير النوم لا يستطيع أن يحيا حياة سليمة ، يقول الله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)** (الروم:٢٣) .

يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري في مجلة منبر الإسلام /عدد شعبان ١٤١٨هـ/ : " في أثناء اليقظة ينبسط المخ وتتوتر العضلات والقلب والأعصاب ؛ وينتج عن هذا النشاط تراكم المواد السامة والإفرازات في الجسم ، فإذا زادت فإنها تقتل الإنسان وعلاجها يكون بالنوم ، حيث يتوقف العقل الواعي من النشاط والتفكير ، وتسترخي جميع أجهزة الجسم من المواد الضارة ، وقد أظهرت الأبحاث العلمية أن ظاهرة البيات الشتوي عند بعض الحيوانات والتي تستمر حتى ثلاثة أشهر من النوم المتواصل ؛ ليس السبب فيه ندرة الطعام في الطبيعة فحسب - كما كان يظن سابقا - ولكنها تساعد الحيوان على تجديد شبابه وحيويته بعد فترة النوم " .

## النوم ليلا :

وقد توصل العلماء إلى أن النوم بالليل يكون أكثر بركة وراحة وفائدة من النوم بالنهار ، ولهذا علاقة بالأشعة الكونية التي تطلقها الشمس بالنهار وتأثيرها على الذهن والجسم ، فهي ترفع النشاط والحيوية في الكائنات الحية ، فالنباتات لا تنشط ولا تقوم بعملية التمثيل الغذائي إلا بظهور هذه الأشعة ، فإذا بدأت في الرواح فإن النبات يهدأ ويخلد إلى النوم ، ونفس الشيء يحدث مع باقي المخلوقات الحية ، وقد تبين بالبحث أن الإنسان الذي يضطره العمل إلى النوم دائما بالنهار والاستيقاظ بالليل يصاب بالكثير من الأمراض النفسية والعضوية .

ويلاحظ أن عقل كل كائن حي يوجد به ما يسمى بالساعة البيولوجية والتي تتحكم في

دواعـــي نومه ويقظته ، وأن العمل بعكسها يصيبها بـخلل ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقائق وأكد عليها في أكثر من موضع ، فقال **(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشــاً)** (النـــبأ:١٠-١١) ، وبين القرآن الكريم نعمة الله تعالى على البشر بظاهرة النوم بالليل فقال **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ)** (القصص:٧٢) .

والقـــرآن الكريم يصف النوم بالليل بأنه لباس أي ساتر من الأشعة الكونية ، ويصفه بأنـــه ســـبات والسبات معناه سكون العقل والبدن للراحة ، ويصفه بأنه سكنى من السكينة والطمأنيـــنة وراحـــة العقـــل من مشاغل الحياة بالنهار ، بينما يصف النهار بأنه نشر أي كالبعث من الموت ، وبأنه مبصر .

وحاســـة السمع لها علاقة وثيقة بالنوم الصحي ، فالمخلوقات الحية لا تستطيع أن تنام في الضجة ، والإنسان أكثر حساسية ، وقد ثبت أن الإنسان إذا نام في الضجة فإنه يصاب بالأرق والأحلام المزعجة ويستيقظ مرهقا ، ولا تقتصر هذه الظاهرة على المخلوقات التي لهـــا آذان فقط؛ بل على النباتات أيضا فقد أجرى بعض العلماء تجارب على علاقة بعض النـــباتات الحساســـة بالصوت ؛ فوجد أنها تذبل ويقصر عمرها في ساعة الإزعاج ، بينما مثيلاتها تنمو وتزدهر في البيئة الهادئة أو مع الموسيقى الناعمة ، وقد أشار القرآن الكريم إلـــى علاقـــة الســـمع بالـــنوم الصحي فقال **(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً)** (الكهـــف:١١) ، فـــربط بين النوم العميق وبين فقدان السمع ، ولو لم يضرب الله سبحانه وتعالى على آذانهم لما ناموا كل هذه السنوات .

## النوم السليم :

النوم السليم يتكون من وحدات تتكرر بصورة منتظمة في أثناء الليل ، فكل وحدة من وحدات النوم تستمر لمدة عشر دقائق على الأقل ، وهي المدة التي تكفي للوصول إلى نوم عميق.

وتؤكـــد هـــذه النظرية أن الساعات الثلاثة الأولى من نوم الليل هي الأهم ؛ لأنه يتم خلالهـــا ضـــخ كمـــيات أكبر من الدم إلى المخ ، وصيانة الأجهزة التي تتحكم في درجة حـــرارة الجسم، والتغييرات الكيميائية في الخلايا ، كما يتم تركيب الهرمونات وإفرازها ، والحـــرمان مـــن النوم يؤدي إلى انخفاض القدرة على ترتيب المعلومات في الذاكرة وذلك يؤدي إلى الشعور بالاكتئاب .

## النوم الصحي :

النوم الصحي له أصول وقواعد يجب اتباعها لتجنب الأرق ومنها : ألا يبذل الإنسان مجهودا كبيرا في التحايل على النوم ، بل يجب أن ينهض فورا من الفراش إذا انتابه الإحساس بالأرق ، فيشغل نفسه بالقراء ممثلا ويمكن للإنسان أن يتعود على بعض

**العادات قبل النوم مثل تناول كوب من الحليب الدافئ المحلى بالعسل ، وأن تكون ملابسه مريحة عند النوم ، وأن يطرد من ذهنه كل مسببات الأرق ، وألا يحمل همومه ومشاكله وأعماله معه إلى الفراش .**

والـنوم الصـحي يقوي الجهاز المناعي وينشط الذاكرة ويساعد على تعزيز وظائف الدماغ ، ويستوي الإنسان والحيوان في عدم القدرة على الاستمرار طويلا بدون نوم .

## التقلب على الفراش :

ومـن أهم مستلزمات النوم الصحي التقلب في الفراش ، فقد أثبت العلم الحديث أهمية هذا التقلب بصفة دائمة ؛ لحفظ حيوية الجسم والعضلات والدورة الدموية ، وعدم ترسيب سوائل الجسم في جانب معين ، وقد ثبّت بعض العلماء كاميرا تلفزيونية على مجموعة من النائميـن أظهـرت أن الإنسـان يتقلب في نومه من ٢٠ إلى ٣٠ مرة في الليلة الواحدة ، وبفحص كل حالة تبين أن هذا التقلب له نسبة معينة ؛ فإذا قل عن ذلك فإن الإنسان يصاب بصداع وآلام في جسمه بسبب ترسب السوائل في جانبه ، وإذا زاد التقلب عن هذه النسبة فإن ذلك يكون دليلا على الاضطراب الذهني والجسدي .

وقـد أشـار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في سورة الكهف **(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُـودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)**(الكهف: من الآية١٨) ، فلولا هذا التقلب لماتوا بسـبب ترسـب سـوائل الجسـم وضغطها على القلب والرئتين ، ومع ذلك فإن الأطباء يوصـون الإنسـان بـأن يبدأ نومه على الجانب الأيمن ، وأن يكون أغلب نومه على هذا الجانـب وبخاصة إذا جاء النوم بعد الطعام ، والحكمة في ذلك تتلخص في أن المعدة في مكان متوسط في الجسم ؛ فالكبد تقع على اليمين ، والقلب على اليسار ، فالنائم على يمينه تصـبح معدته فوق كبده ؛ وهذا وضع مريح . أما إذا نام على جنبه الأيسر فإن المعدة – بما تحمل من طعام– تضغط على القلب مما يسبب الأحلام المزعجة ، وقد يتسبب ذلك في خفقان القلب ، والمعروف أن أكثر حالات الذبحة الصدرية تحدث بعد أكلة ثقيلة وفي أثناء النوم ، وبخاصة إذا كان على الجانب الأيسر.

وقـد سبق الإسلام الكشف عن هذه الحقيقة العلمية ؛ فكان الرسول ﷺ يوصي المسلم بقولـــه **(نم على جنبـك الأيمن)** "ابن حنبل وأبو داود" ، وقد روي عن أحد الصحابة أنه قـال " بيـنما أنا مضجع على بطني في المسجد إذا رجل يحركني ويقول **(إن هذه نومة يكـرهها الله)** فـنظرت فـإذا بـه رسول الله ﷺ "، ورأى النبي ﷺ رجلا نائما في وضع القرفصـاء ووجهه إلى الأرض فأيقظه وقال له : **(هذه نومة جهنمية اضطجع على شقك الأيمن)** "رواه الشيخان".

ويلاحـظ أن عددا كبيرا من الناس يصابون بالكوابيس في أثناء النوم وأحد أسبابها – غـير القلق – النوم في وضع غير مريح ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ **(من رأى شيئا يكرهه فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم ليتحول عن جنبه الذي كان عليه).**

والتحول عن الجنب الذي كان عليه أمر هام لقطع الكوابيس ؛ لأنه لوحظ أن الإنسان

الذي يستيقظ ثم يعود إلى النوم دون تغيير في وضعه فإن الكوابيس تعود إليه مرة أخرى.

قال الدكتور يسري عبد المحسن أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة كما ذكرت صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٩٩/٦/٩م : " يلاحظ أن خلايا الدماغ تنشط في أثناء النوم للإبقاء على استعداد الإنسان لكي تكون جاهزة للاستخدام ، ولذلك تتميز فترات النوم بحدوث حركات عيون سريعة وبخاصة في أثناء الأحلام ، وخلال الوجود في رحم الأم وبخاصة في الأسابيع الأخيرة من الحمل حيث يقضي الجنين ما بين ٥٠% إلى ٩٠% من ساعات النوم التي تصاحبها حركات سريعة في العيون ، وتنخفض هذه الظاهرة إلى ٢٥% من ساعات النوم عند البالغين ، وإلى ١٥% عند المسنين " .

وتوقيت النوم عند الإنسان تضبطه ساعة داخلية في أسفل الدماغ تفرز هرمونات تؤدي إلى النعاس ، وهذه الساعة الداخلية تتأثر بالضوء ، ولهذا فإن النعاس يجلبه الظلام أكثر عند النوم.

والاستمرار في اليقظة مستحيل لأن هناك مواد كيماوية تزداد في الدماغ بحيث تؤدي إلى النوم على الرغم من الضوضاء أو الأضواء .

ويتعرض النائم لتغيرات فسيولوجية وبالذات في فترات الأحلام من حركة سريعة فيها نشاطات كهربائية في مراكز الذاكرة الخاصة ببرمجة المعلومات وإعادة تنظيمها وترتيبها استعدادا لإطلاقها على شكل أعمال إبداعية خلاقة عند الاستيقاظ .

والنوم يقوي الجهاز المناعي وينشط الذاكرة ويساعد على تعزيز وظائف الدماغ ويستوي الإنسان والحيوان في عدم القدرة على الاستمرار طويلا دون نوم ، ولذلك فإن حالات القلق التي تصيب بعض الناس وتؤدي بهم إلى عطل في الدماغ قد تنتهي بالوفاة في مدة عامين من الإصابة بها ، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الحرمان من النوم يؤدي إلى نقص ٣٠% من قدرة الخلايا على محاربة الخلايا السرطانية ، كما أن النوم يساعد على الشفاء من بعض الأمراض البسيطة كأنواع الرشح ، وعدم النوم يؤدي إلى إضعاف الذاكرة وتعطيل القدرة على التفكير السليم .

## محاسبة النفس قبل النوم :

يلاحظ أن محاسبة النفس قبل النوم تجعل الإنسان ينام نوما هادئا لا انزعاج فيه ، وعلى النائم قبل نومه وقبل أن يغمض عينه أن يقول '' **باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** '' **ثم يضطجع على شقه الأيمن** – رواه الشيخان ، وبذلك يستطيع النائم أن يأخذ راحته في النوم السليم ، وعند الاستيقاظ من النوم يقول '' **الحمد لله الذي رد عليّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره** '' ثم يسعى ليؤدي وظيفته في هذه الحياة في عمارة الأرض طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

وبذلك يظهر لنا أن غاية النوم إعطاء الإنسان فرصة للراحة الجسمية والراحة العقلية والراحة النفسية وبذلك يستعيد قوته ليبدأ صفحة جديدة من العمل الجاد المفيد .

ويلاحظ أن ٦٠% من الناس ينامون من ست ساعات إلى ثماني ساعات في اليوم ، وأن ٤% ينامون أقل من ثماني ساعات ، وأن ٣٦% ينامون أكثر من ثماني ساعات ، ولا يوجد فرق بين الرجال والنساء فيما يتعلق بطول مدة النوم ، وكلما تقدم الإنسان في العمر كلما قلت ساعات نومه ، ودرجة حرارة الجسم تتغير بشكل محدد فتكون في قمتها قبل منتصف الليل بقليل ، وتنزل بعد ذلك حتى الساعة الخامسة ، ويزداد ارتفاعها تدريجيا حتى تصل إلى أقصاها قبل منتصف الليل .

## الأحلام :

يلاحظ أن النساء يتذكرن أحلامهن أكثر من الرجال على الرغم من أن الرجال يستمتعون بأحلامهم أكثر من النساء ، وتزداد الكوابيس في أحلام النساء عنها في أحلام الرجال وتشيع فيها أحلام القلق بنسبة ٤٠% في النساء و٢٧% في الرجال .

## القلق :

القلق هو العدو الأول للنوم ، ومن أهم أسبابه عدم الشعور بالطمأنينة والأمان لأية مشكلة من مشكلات الحياة ، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يربط بين الأمن وبين النوم في أكثر من موضع ، يقول الله تعالى **(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً)** (لأنفال: من الآية١١) ، ويقول **(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ)** (آل عمران: ١٥٤) .

والإيمان بالله تعالى والتسليم بقضائه وقدره ، والاستهانة بأمور الحياة الدنيا ، والثقة بعون الله تعالى ، يجعل الإنسان يعيش مطمئنا . يقول الله تعالى **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)** (الفجر:٢٧-٢٨) .

وفي غزوة بدر وقبل إنفاذ مشورة الحباب بن المنذر خرج المسلمون لأداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء ، وثارت الهواجس والوساوس في نفوس الصحابة ، وهذا مدخل الشيطان يمكن أن يدخل منه على المسلمين من باب الإيمان ، فيزيد من متاعب النفوس ومشاعر الخوف الذي كانوا فيه من العدو – عدده وعدته – وهنا يأتي المدد من الله تعالى فيلقي على المؤمنين النوم . يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ''ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، وقد أتينا وما فينا إلا نائم ما عدا رسول الله ﷺ الذي كان يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح ونزلت الآية '' تظهر هذه المعجزة للنبي ﷺ ، وتبين للمسلمين مدى أهمية النوم في هذه الفترة ، يقول الله تعالى **(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)** (الأنفال:١١) .

والحرمان من النوم يؤدي إلى انخفاض القدرة على تخزين المعلومات في الذاكرة ، وذلك يؤدي إلى الشعور بالاكتئاب ، كما أنه يؤثر على قدرة المرأة على الإنجاب ، جاء في صحيفة الشرق الأوسط (عدد ٩ من أبريل سنة ١٩٩٥م) يقول هاري السبل محرر

طبـي مـن واشـنطون ، يقـول خبراء اضطراب النوم : " إن أغلب الناس لا يأخذون اضطراب النوم مأخذ الجد ، ولكن الأرق العادي قد يتحول إلى أرق مزمن لا يمزق حياة الإنسـان فقـط بـل إنه يهددها بشكل عملي " ويعتبر الأرق عجزا دائما غير طبيعي عند الحصـول علـى الـنوم الكافي المريح ، ويعتبر الشخص الذي لا يتمكن من النوم خلال ثلاثيـن دقيقة معرض أكثر من غيره للإصابة بالأرق ، ويضيف الخبراء أن الأرق ثلاثة أنواع :

١- عارض لا يستمر أكثر من عدة أيام أو ساعات .

٢- قصير الأجل ويستمر لساعات طويلة . ٣- مزمن ويبقى لعدة أشهر .

وقد لوحظ أن الأرق يصيب أكثر من ٦٠ مليون أمريكي ، وتعتبر إصابة ثلاثين منهم جادة، كما لوحظ أن الحبوب المنومة تأثيرها مؤقت ، وإذا امتنع الإنسان عن أخذها بعد أن تعود عليها فإنها تحدث أثرا ارتداديا يؤدي إلى نوبة الأرق التي قد تستمر أسابيع ، وتدمر الحبوب المنومة مرحلة النوم الخفيف التي تتكون خلالها الأحلام .

والأرق مـن أهـم أمـراض الـنوم ويحدث نتيجة لأمراض عديدة منها : التوترات العائلية، ونقل السكن من منطقة إلى منطقة أخرى ، وضجيج السيارات الشديد ، والحفلات الصاخبة ، والتعايش مع زوج أو زوجة قلقة ، والسفر الطويل .

ويحـدث القلـق نتيجة لخوف من حالة مرضية قاتلة مثل السرطان وأمراض القلب ، كمـا يحـدث فـي الأزمات المختلفة عاطفية كانت أو مادية أو اجتماعية ، وأحيانا تحدث اضطرابات النوم نتيجة الاختناق الشديد أو الانسداد أو التورم .

والمعالجـة الحديـثة ترتكـز على رياضة الاسترخاء والتنويم المغناطيسي بعيدا عن تـناول الأدويـة المهدئـة والمنومة ، لأنها تؤدي إلى خفض نسبة تركيز الدماغ ومثاليته الكهربائـية ، كذلك الاستعمال الطويل الأجل لهذه الحبوب يؤدي إلى حدوث الإدمان ورفع العصبية للنوم .

وينصـح الأطباء الذين يعانون من اضطرابات النوم بالذهاب إلى الفراش في أوقات محـددة مـن كل يوم ، ويجب النوم على الفراش ذاته ، والإنسان الذي يضطر إلى النوم أكثر من ثلاثين ساعة يصاب بنوع من التغيير النفسي والذهني وتعتريه حالة من الهلوسة أو فقـدان الذاكرة ، بينما الأغنام والمواشي تستمر في نشاطها دون نوم ، وعملية الهضم المعقدة عندها قد تستفيد من اليقظة وتصبح أكثر فائدة وحيوية له .

ومـن ظواهـر الـنوم غياب الأفعال أو الأعمال الإرادية ، واختفاء الشعور بعالمنا المحسـوس في فترات النوم التي يحتاج إليها الإنسان ، وهي تختلف من إنسان إلى إنسان، ومن سن إلى سن.

## النوم وعلاقته بالذكاء :

جـاء فـي صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٩٠/١/٩م ، يقول الدكتور يسري عبد المحسن أسـتاذ الطـب النفسي بجامعة القاهرة : " إن الأرق له أسباب نفسية متنوعة متوقفة على

نوعية المعاناة وطبيعة المرض النفسي الذي يعاني منه الفرد " ، وهناك علاقة بين مستوى الذكاء وحالة النوم عند الإنسان فهو يشعر بالاسترخاء والراحة النفسية التامة والحيوية بعد فترة نوم قليلة لا تتراوح بضع دقائق كلما كان يتمتع بمستوى ذكاء مرتفع ، وكانت ميوله الإبداعية وقدراته على الابتكار أقوى وبخاصة إذا كانت هذه الدقائق التي يستغرق فيها الإنسان بنوم عميق ومريح في فترات النهار وبعد الظهر ، وليست في الفترات المسائية بعد منتصف الليل ، والرجال الذين لديهم نسبة أعلى في مستوى الذكاء يتناسب مع قلة النوم ، ولا يحدث هذا الارتباط عند النساء .

ولا فرق بين مستوى الذكاء عند الجنسين فيما يتعلق بساعات النوم في أثناء الليل ، وبتطبيق مقاييس الذكاء لدى الجنسين ، وعمل التخطيط الكهربائي للمخ خلال فترات النوم القصيرة ، تبين أن نوم الظهيرة المعهود تحدث فيه نشاطات كهربائية في مراكز الذاكرة الخاصة بدمج المعلومات وإعادة تنظيمها وترتيبها ؛ استعدادا لإطلاقها على شكل أعمال إبداعية خلاقة بعد الاستيقاظ من النوم .

## أنواع النوم :

يقول الدكتور إسماعيل الخطيب في صحيفة الشرق الأوسط عدد ١٩٩٥/٥/٥م :

النوم عملية فسيولوجية معقدة تؤدي إلى اختلاف واضح لدى الإنسان سواء في الفعاليات الدفاعية أو في وظائف الأعضاء الجسدية ،وقد ذكر العلماء مراحل كثيرة للنوم أهمها :

١- **النمط الأرثوذكسي:** أو ما يسمى بموجات النوم السطحية ويتألف من أربعة مراحل متسلسلة تتراوح بين النوم الطفيف إلى النوم العميق حيث ترتخي العضلات في هذه المرحلة وتنخفض بسرعة دقات القلب ، كذلك يتحقق الضغط وتقل حركات التنفس وتنخفض درجة حرارة الجسم .

٢- **النمط البارادوكسي** : ويعرف بالنوم ذي الحركات العينية السريعة (آر-إي-إم)، حيث تقوم العينان في هذه المرحلة بإجراء حركات سريعة في داخل الأجفان المغلقة ، وتزداد سرعة دقات القلب ، وعدد مرات التنفس وترتفع درجة حرارة الجسم ، وتحدث الأحلام في هذه المرحلة غالبا .

٣- **نمط النوم المثالي** : وهذا النمط يمر بمراحل متعددة بدءا من المرحلة الأرثوذكسية بشكل متسلسل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الرابعة ، وبعدها يعود الدماغ في فاعليته إلى المرحلة الأولى ، ثم يغط الدماغ في نوم عميق من النوع البارادوكسي، وتتكرر هذه العملية كل ٩٠ دقيقة في أثناء الليل وحتى الصباح.

والنوم يحمي الجسم من اضطرابات كثيرة في كل مرحلة يمر بها تخدم غاية معينة في الجسد ، فالنوع الأول يساعد على الوصول بالجسم إلى الاستقرار .

## العلاج بالنوم :

جـــاء في صحيفة الشعب بتاريخ ١٠/١٠/١٩٩٧م ، أن العلماء قاموا بتجارب لدراسة تأثـــير النوم على صحة الإنسان ، وقد توصلوا إلى أن النوم يقوي جهاز المناعة في جسم الإنسان ويشحذ الذاكرة ويزيد من قوتها على التفكير السليم .

وقـــد دلت التجارب التي أجريت على الفئران التي تتعب من عدم النوم لمدة طويلة ؛ علـــى حدوث التهابات قاتلة في الدم يصدر عنها قصور في الجهاز المناعي ، مما أصابها بالجراثيم والأمراض المختلفة .

## المدنية الحديثة تغير نظام الكون :

لقـــد استمر الناس آلاف السنين ينامون ليلا ويعملون نهارا ، وكان ذلك موافقا لحركة الكـــون ومرتـــبطا بشـــروق الشمس وانتهاؤه مرتبطا بغروبها ، ثم جاءت المدنية الحديثة فغـــيرت كثيرا من معالم الحياة التي كان الناس يعشقونها ، فقد وجدت الكهرباء والطاقات الأخرى وأنشئت المصانع التي تعمل ليل نهار .

وأصبح بعض الناس يعملون ليلا ، وبعضهم يعمل نهارا ، واخترع التلفاز والإذاعة ، وأصـــبحت المـــتاجر تفتح أبوابها إلى ساعة متأخرة من الليل ، وبدأت مظاهر جديدة في الحـــياة ، ومشكلات في النوم وفي العمل لم تكن معروفة من قبل ذلك ؛ لأن الناس بدؤوا يسهرون الليل أو جزءا منه ، وينامون النهار أو جزءا منه ، وتردد في الشفاه وفي القلوب سؤال : ترى هل من الممكن أن يستريح الجسم إذا نام نهارا ؟ وما تأثير نوبات العمل ليلا على الحياة الاجتماعية ، وعادات من تضطرهم طبيعة العمل على السهر طوال الليل ؟

وتولـــى الإجابة على هذه الأسئلة دراسة في بريطانيا تحت عنوان " **العاملون ليلا هل ينـــتجون مثل العاملين نهارا** " وأجريت هذه الدراسة ليتبين تأثير نوبات العمل الليلي على الحياة الاجتماعية وعادات النوم لمن تضطرهم طبيعة العمل للسهر طوال الليل .

وقـــد وجد أن الذين يعملون ليلا لديهم مشكلات تتعلق بالنوم في أثناء النهار ، كما أن أدائهـــم فـــي اللـــيل أقل كفاءة مما لو كان أداؤهم في أثناء النهار ، بسبب ضعف التركيز الناتج عن النوم غير المريح في أثناء النهار.

وقـــد أجريت هذه الدراسة النفسية بوساطة الدكتور اندرو روتلي وتلاميذه في جامعة كمـــبردج ، وتمـــت علـــى مجموعة مكونة من ١٢ عاملا لا يعملون إلا ليلا ، وقد أخذوا أعمالا ليلية لمدة أسبوع ، وقد الدكتور أن الأداء يختلف فعلا من الليل إلى النهار ، ويزداد سوءا كلما زادت مدة العمل الليلي وأيامه.

وعلـــل الدكتور ذلك بأنه نتيجة للاستجابة المتزايدة من الجسم الموجود في مكان غير معـــتاد بالنسبة للوقت ، ووجد الدكتور أن فترة النوم في أثناء النهار أقصر جدا وأقل عمقا مـــن النوم في أثناء الليل ، وهذا يؤدي إلى نتيجة أسوأ ، حيث أنه بالإضافة إلى أن العامل الليلي يعود من عمله في غاية التعب بأكثر مما هو ، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يحصل

علـــى حاجته من النوم ، وكذلك أوضحت الدراسة أنه على الرغم من ذلك فإنه إذا استمر العامل في عمله الليلي الدائم فإن الجسم قد يتكيف تدريجيا .

## الحياة الاجتماعية :

ويقول الدكتور بعد ذلك معلقا على نتائج هذه الدراسة : ولسوء الحظ فإن ذلك إذا كان مستحســنا من الناحية البيولوجية ؛ فإن له نتائج سيئة من الناحية الاجتماعية ، فعلى سبيل المـــثال ؛ فـــإن العامل الليلي سوف يشعر بحاجته إلى النوم في أثناء النهار حتى في أيام عطلـــته الأســـبوعية ممـــا يبعده عن زوجته وأولاده حتى في اليوم الواحد الذي يمكن أن يمكث فيه معهم .

ثـــم تحـــدث أيضا عن مشاكل العمل الليلي من المسافرين بالطائرات لمسافات طويلة جدا ، وسببها الاتجاه ضد الحركة الطبيعة للساعة البيولوجية التي يتبعها الجسم .

**والحـــل الوحيد** الذي يمكن أن يتخذ لمواجهة مشكلات النوم لأصحاب الأعمال الليلية هـــو الإقـــلال إلـــى أقصى حد ممكن من نوبات السهر الأسبوعية ، فلو سهر العامل مرة واحـــدة أســـبوعيا بـــدلا من السهر مجموعة متواصلة من الأيام لكان ذلك أقل ضررا من السهر المستمر .

وهكـــذا تجنـــي الحضارة الحديثة على الإنسان وعلى الأسرة ؛ لمخالفتها لنظام الكون الـــذي يســـير في نظام واحد قائم على الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ولذلك ظهرت الأمراض الكثيرة والأخطار المتنوعة .

وفي بداية الأمر لا ينتبه الإنسان إلى هذه النتائج ، ولكن إذا زادت وانتشرت وظهرت الأخطـــار المتـــنوعة ؛ فإن العلماء يبدؤون في إجراء التجارب المتنوعة لمعرفة الأخطار الناتجة عن السهر بالليل والنوم بالنهار ، وظهر أن ذلك لا يساير النظام الفطري الذي هو مـــن وضع خالق البشر وخالق الكون ، والذي وضع النظام المتناسق في هذه الحياة ، فإذا ســـار الإنســـان في طريق مخالف للفطرة فإن النتائج المختلفة سيتحملها الإنسان ، وسيندم يـــوم لا يـــنفع الندم ، يقول الله تعالى في ذلك : **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَـــرَ الـــنَّاسَ عَلَـــيْهَا لا تَـــبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** (الروم:٣٠) .

وهكـــذا نرى أن الحضارة الغربية الحديثة جنت على أبنائها بالعمل الليلي الذي أوجد القلق المستمر في جميع نواحي الحياة .

ولذلـــك فإنـــنا في حاجة ماسة إلى أن نعود إلى الفطرة حتى نحتفظ لأنفسنا بالسكينة والطمأنيـــنة، ونســـتطيع أن نـــؤدي وظيفتـــنا في هذه الحياة ، فنشعر بالأمن ، والأمان ، والراحة ، والسكينة ، والاطمئنان ، وبذلك يرضى الله تعالى عنا في الدنيا والآخرة .

ولمثل هذا فليعمل العاملون ...

# فهرس